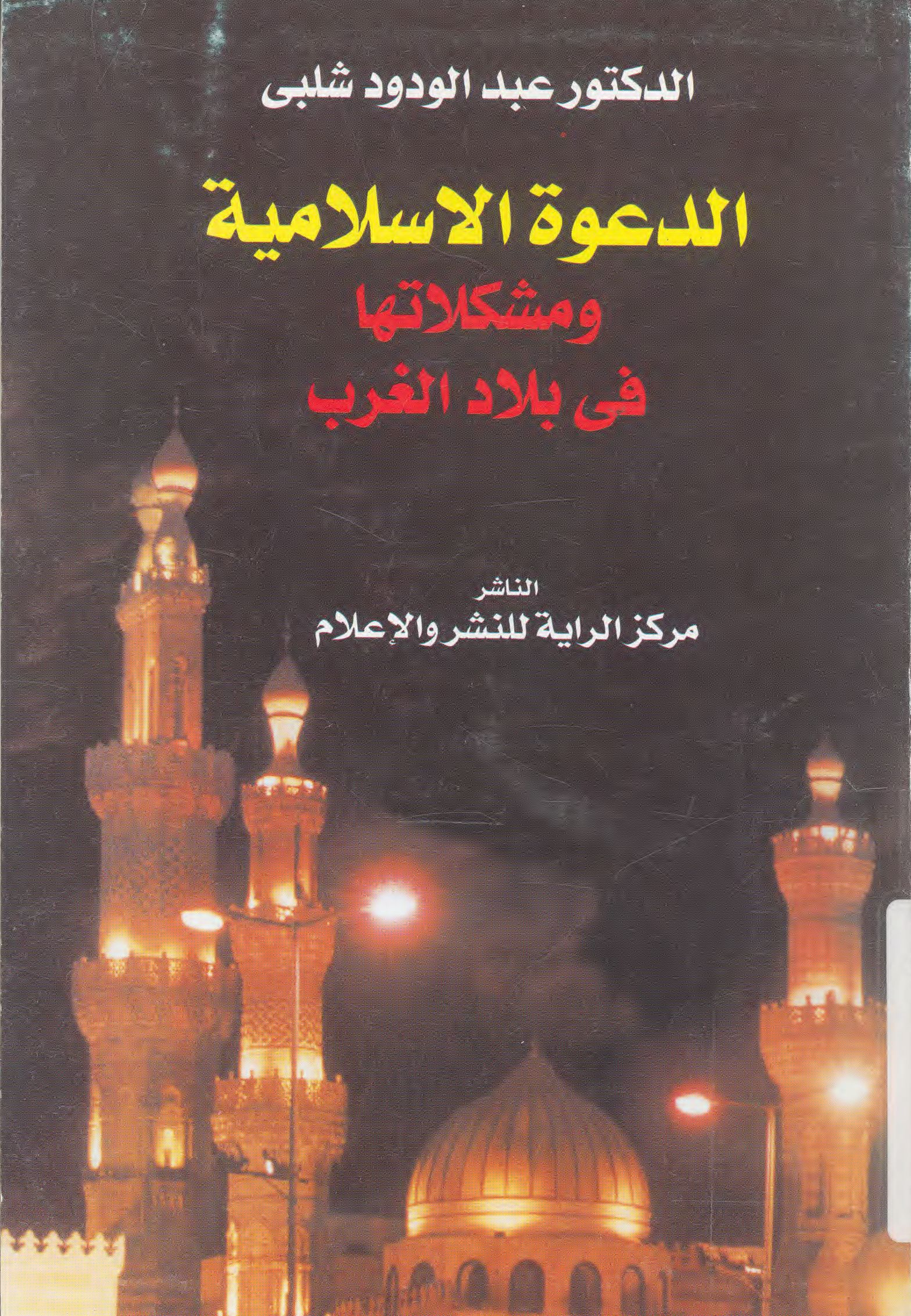

الدكتور عبد الودود شلبى
الدعوة الاسلامية
ومشكلاتها
فى بلاد الغرب
الناشر
مركز الراية للنشر والإعلام

الدعوة الإسلامية
ومشكلاتها فى بلاد الغرب

الدعوة الإسلامية ومشكلاتها في بلاد الغرب

بقلم

د. عبد الودود شلبى

الناشر

مركز الراية للنشر والإعلام

الكتـــــاب : الدعوة الإسلامية ومشكلاتها فى بلاد الغرب

التـــــأليف : د./ عبدالودود شلبى

الطبعـــــة : الأولى سنة ٢٠٠٠

الناشـــــر : مركز الراية للنشر والإعلام

القاهرة - ٣٠ ميدان الحسين - مكتبة فكرى

تليفون : ٥٩٢٦٢١٩

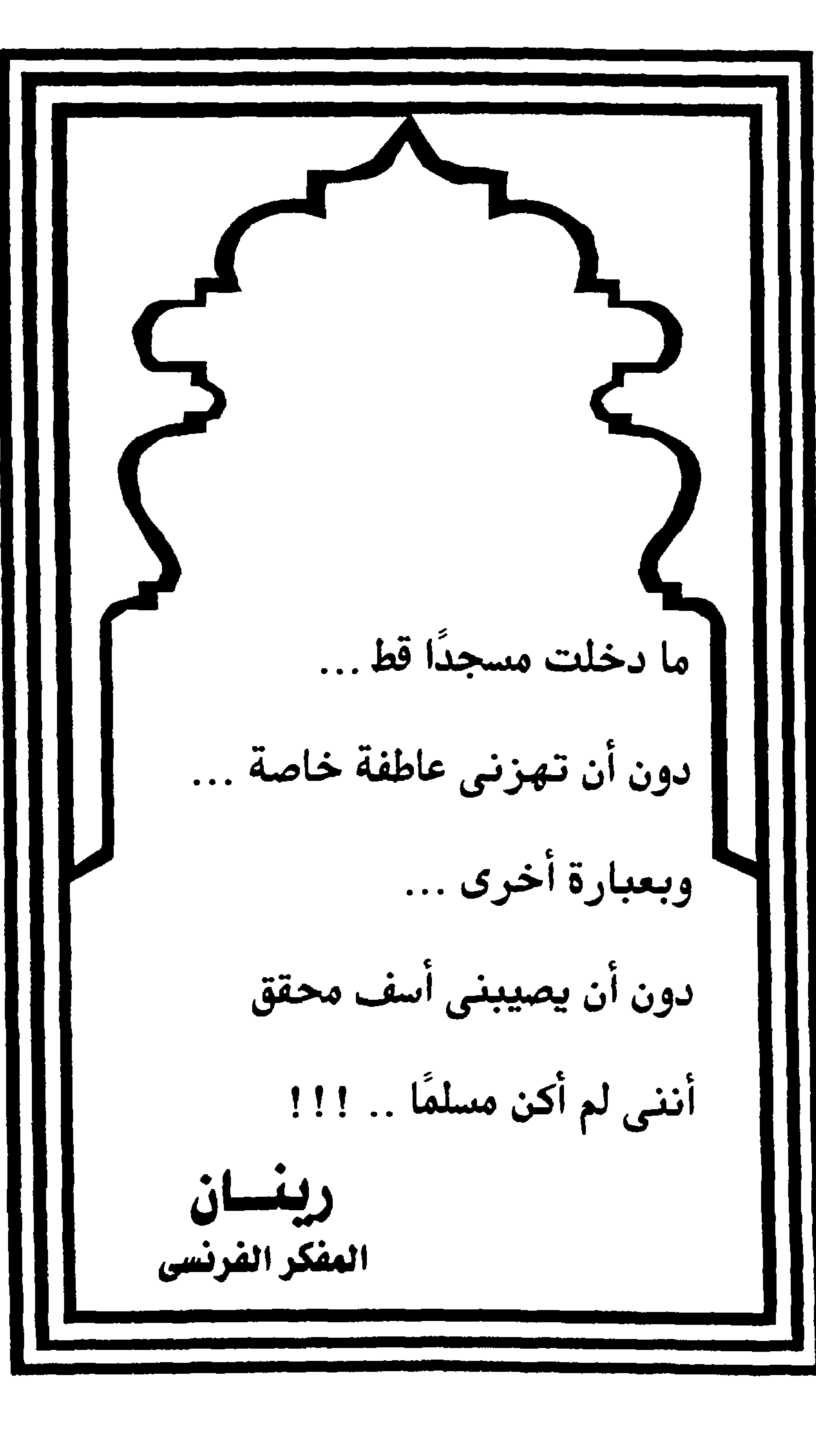
رقم الإيـــداع : ٢٠٠٠/٧٣٥١

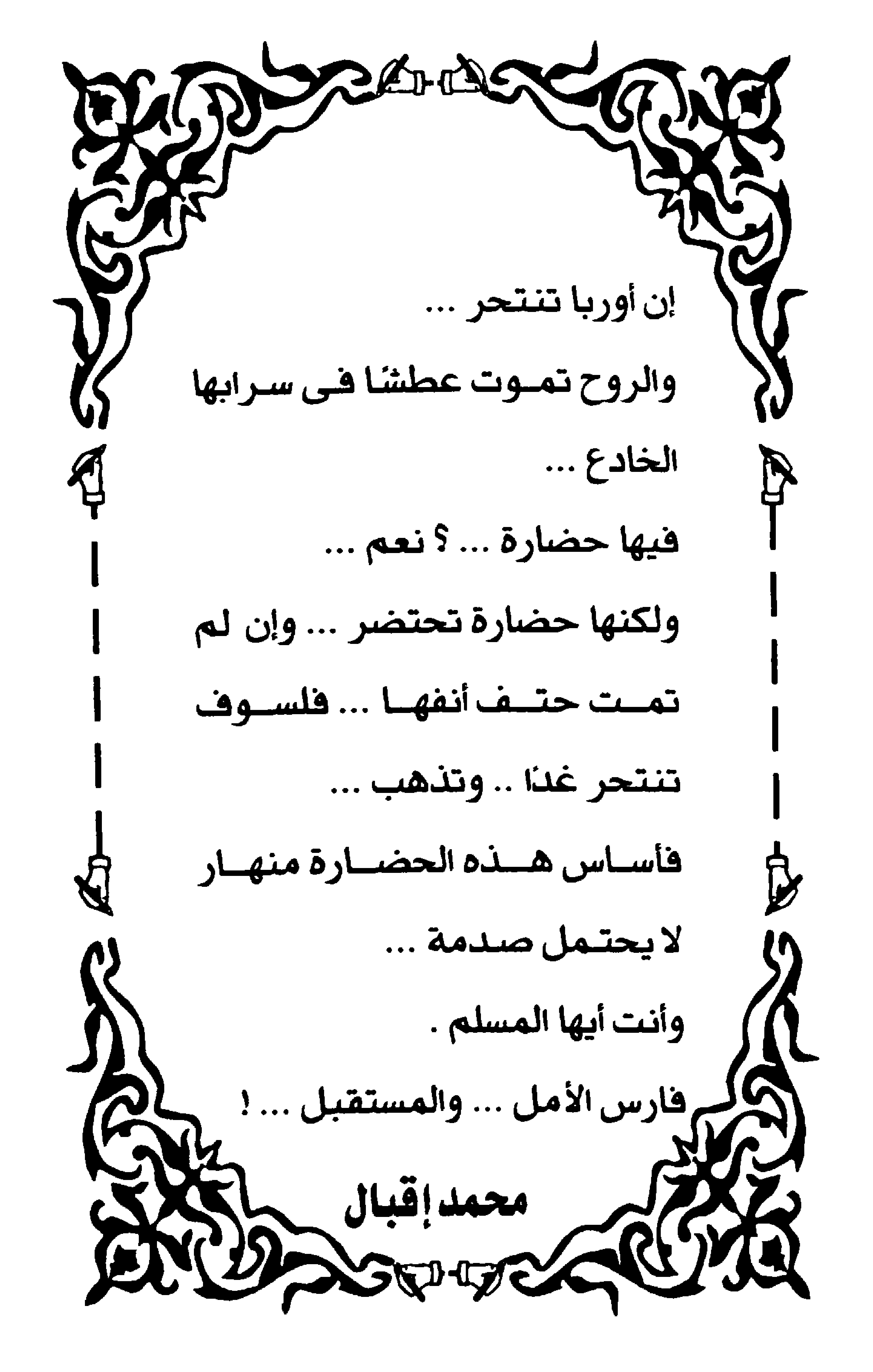
الترقيم الدولى : ISBN: 977-5967-42-2

كافة حقوق الطبع والنشر هى ملك لمركز الراية للنشر والإعلام

ولا يجوز نقلها بأى وسيلة إلا بإذن كتابى من الناشر .


بسم الله الرحمن الرحيم


ما دخلت مسجدًا قط ...
دون أن تهزني عاطفة خاصة ...
وبعبارة أخرى ...
دون أن يصيبني أسف محقق
أنني لم أكن مسلمًا .. !!!
رينـــان
المفكر الفرنسي



إن أوربا تنتحر ...

والروح تمـوت عطشًا فى سرابها

الخادع ...

فيها حضارة ... ؟ نعم ...

ولكنها حضارة تحتضر ... وإن لم

تمــت حتــف أنفهــا ... فلســوف

تنتحر غدًا .. وتذهب ...

فأســاس هــذه الحضــارة منهــار

لا يحتـمل صـدمة ...

وأنت أيها المسلم .

فارس الأمل ... والمستقبل ... !

محمد إقبال

كلمة الناشر

عندما بدأنا التفكير فى إصدار كتاب « الراية » كسلسلة ثقافية تساءل البعض من الأصدقاء عما يمكن أن يمثله إصدار مثل هذه السلسلة أو هذا الكتاب ؟

قلت لهؤلاء الأصدقاء ضاحكًا :

إن صدور أى كتاب يحمل اسم « الراية » يغنى عن التفسير والشرح .. « الراية » هى رمز الوطن .. الوطن تاريخًا وحضارة والوطن ثقافة ورسالة ، والوطن تجديدًا وأصالة .. وهذا الكلام يعنى أن أى كتاب يصدر عن هذه السلسلة يستهدف إحياء كل هذه القيم التى يمثلها هذا الوطن ... قيم الإيمان بالإسلام وبالله الواحد الأحد وقيم الإيمان بدور مصر الحضارى فى العالم ، وقيم الإحياء والتجديد حتى لا نتخلف عن ركب العلم والحضارة والتقدم .

وفى ضوء هذا كله فى ضوء كل هذه القيم وهذه المثل يصدر كتاب الراية معتمدًا على الله أولاً .. ثم على ثقة القارئ فيه ثانيًا .

ولما كان موضوع « الدعوة الإسلامية » وتعثرها فى بلاد الغرب – من أهم القضايا التى تشغل بال المسلمين هنا فى مصر وفى غيرها من بلاد العالم الإسلامى .

فقد رأينا فى هذا البحث الذى قدمه الأستاذ الدكتور عبد الودود شلبى إلى المؤتمر الإسلامى العالمى الذى عقد فى لندن عام ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

رأينا فى هذا البحث عرضًا وتحليلاً لهذه المشكلة ، كما رأينا فيه الحل والعلاج لهذه المشكلة .

لهذا يسر مكتبة « الراية » أن تقدم هذا الكتاب إلى قرائها فى مصر وفى البلاد الإسلامية .

أحمد فكرى

الدعوة إلى الإسلام فى الغرب

منذ حوالى خمسين عامًا.. التقى علامة الهند مولانا عبد العليم الصديقى رحمة الله عليه . فى مدينة نيروبى عاصمة " كينيا " بالمفكر البريطانى الراحل جورج برنارد شو (G. B SHAW) ودار بينهما حوار طويل عن الإسلام وقضاياالإنسان ومشكلاته فى هذا العصر(١) . خرج – منه – أى من هذا الحوار جورج برنارد شو مقتنعًا تمام الاقتناع بالدور الحضارى والإنسانى الذى يمكن أن يقدمه الإسلام إلى الإنسانية التائهة فى سراديب الظلمات والتسلط والقهر ..

وقد زار – برنارد شو – بعد ذلك أقطارًا إسلامية كثيرة فى أدنى الشرق وفى أقصى الشرق . وحين سئل عن انطباعاته حول هذه الرحلة قال .

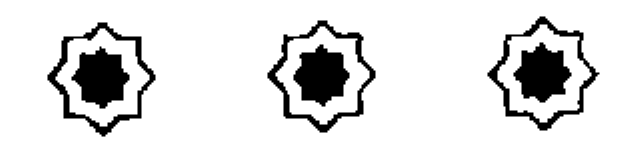
لقد تعرفت على الإسلام بصورة لم تتح لى من قبل ، وقرأت معانى القرآن كما ترجمها المسلم البريطانى " محمد مارمادوك"(٢) فرأيت العظمة والجلال فى هذا الكتاب الذى يرتقى بقارئه إلى أرقى درجات الكمال والعقل .

---

(١) أنظر نص هذا الحوار فى كتابنا " حتى لا نخدع " – دار الشروق – القاهرة .

(٢) محمد مرمادوك من أوائل المسلمين البريطانيين . ومن أوائل من ترجموا " معانى القرآن الكريم " إلى اللغة الإنجليزية .

ولو كان للإسلام دعاة على مستوى هـذا الكتـاب ، ومسـتوى هذا الدين لأسلمت أوربا كلها قبل نصـف قـرن ولـدان بـه معظـم الناس فى الشرق والغرب . غير أنى لم أصـادف مثل هـذا الداعية إلا فى رجل واحد من الهنـد ...



لقد كان " نابليون " القائد الفرنسـى الطمـوح المغـامر مقتنعًا بأن الإسلام هو أصلح قاعدة لبناء أعظـم دولـة فـى التـاريخ ، وإن هذا الاقتناع صاحبه لدى إعداد الحملة الفرنسية على مصر حيث كتب فى ذلك يقول :

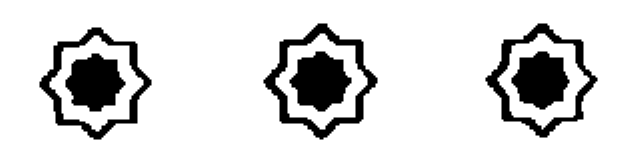
إنه أجرى أحاديث مـع علمـاء الأزهـر أكـدت لـه أن الإسـلام عقيدة وجوهر وليس رسومًا وظواهر .. وأنه يستطيع التـدرج فـى بناء الدولة التى يؤمن بها، وإظهار صورتها الإسلامية شيئًا فشيئًا .

وقال : إنه كان يعد لاعتناقه الإسلام رسـميًا عندمـا يصـل إلـى بغداد ، ويعلن انفصاله عن عقيدته الأولى ، وأكد أنه قبل حضـوره إلى مصر درس الإسلام واطمأن إلـى صـدق تعاليمـه ، واسـتقرت هذه الطمأنينة فى نفسه ، غير أنه لما فاتح معاونيه بدخيلته وأمانيه أعترضه بعضهم وبين له وعورة الطريق فكان جوابه : إنه فى سبيل المصالح العليا تحول " هنرى الرابـع " ملـك فرنسـا السـابق مـن العقيدة البروتستانتية إلى العقيدة الكاثوليكية ، ولا يوجد ما يمنعـه

بدوره من التحول إلى الإسلام ... ثم قال : إن القاهرة والإسكندرية أجدر من عواصم أوربا ، لتكونا على رأس العالم كله .. !

وما كتبه نابليون عن عظمة الإسلام سجله وهو منفى فى جزيرة " سانت هيلانه " أى أنه كتب ذلك بعد تفكير عميق وتجربة ناجحة ، وحيث لا يتوهم من قوله هذا شبهة نفاق أو مجاملة[1] ..

إن الإسلام هو قوة " الغد " كما قال ذلك مستشرق ألمانى اسمه " باول شميتنر " فى كتاب يحمل نفس الاسم[2] : والحضارة الغربية التى تباهى بقوتها وعضلاتها كما يقول " أنيشتين " ينسى قادتها وزعماؤها أن هذه القوة ستنتهى بهم جميعًا إلى كارثة فى أقرب وقت .



لقد انتهى دور " دور الكنيسة " ولا أقول " الدين " فى مجتمع الحضارة الغربية .

أما لماذا فالأسباب أكثر من أن تعد فالفساد تجاوز حدود المنطق والحل .

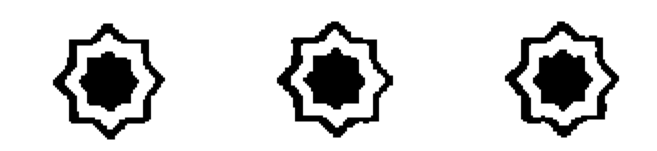
---

(١) الغزو الثقافى يمتد إلى فراغنا – الشيخ محمد الغزالى – ص ١١ وما بعدها .
(٢) ترجمة إلى العربية د/ محمد شامة – شر مكتبة وهبه – القاهرة .

غير أن الأهم من هذا كله كما يقول " الفيلسوف " البريطانى " برتراند راسل " : إن المسيحية الحاضرة ليس لها صلة بالمسيح أصلاً .

وأن أول وآخر مسيحى حقيقى مات قبل تسعة عشر قرنًا[١] ...

وقد ألف . حول هذه القضية كتابًا سماه لماذا أنا لست مسيحيًا WHY IAM NOT CHRISTIAN . طبع في لندن .



فى لقاء بين أحد المحررين[٢] فى صحيفة الأهرام وبين مجموعة من الأوروبيين والأمريكان حضروا إلى مصر سألهم عن السبب الذى دعاهم لرفض المسيحية واعتناق عبادة فرعونية قديمة ... ؟

فقالوا :

وماذا صنعت لنا دياناتنا القديمة سوى الخراب والدمار والحروب والموت .. ؟

لقد كفرنا بكل شيء .. طلقنا ديانات الآباء والأجداد التى فشلت فى زرع السلام والخير ..

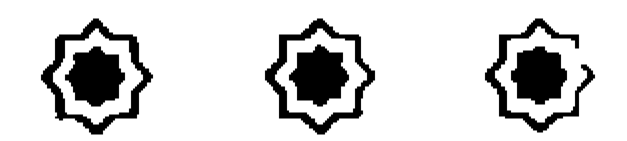
(١) يقصد المسيح عليه السلام .
(٢) عزت السعدني .

لقد ضلت خطانا فى كل دروب الأرض ، ولم نجد هذا السلام وهذا الخير إلا عند آلهتكم القديمة . أمون . وإخناتون .. و رع .. !!!

ويقول المحرر :

سألت كل الرجال والنساء الذين أجريت معهم هذا الحوار عن السر فى هذا التحول .

فاتفقت إجابتهم جميعًا على أنهم وجدوا فى عبادة آلهة المصريين القدماء راحة نفسية لم يجدوها فى الكنيسة أو المعبد ... !!!



وفى الطائرة المصرية المتجهة إلى " زيورخ " دار هذا الحوار بين أستاذ مصرى وشاب سويسرى[1] :

قال المستر " توماس " وهو اسم الشاب السويسرى :

إننى أنا وكثيرين غيرى لم نعد نفهم لهذه الحياة هدفًا أو معنى ..

قلت له: ألست مسيحيًا ؟

فقال الشاب: نحن لم نعد مسيحيين فى سويسرا !

قلت له: ولماذا لا تعودون إلى المسيحية ؟

---

(1) جريدة الشعب ٩٨٩١/١/٤٢ " د. أحمد عبد الرحمن " .

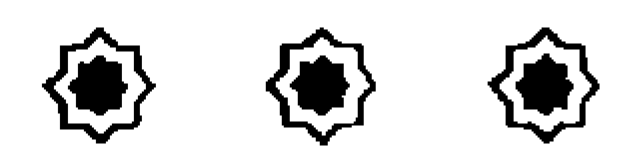
قال الشاب: ظننت أنك ستدعونى إلى الإسلام .. ؟!

قلت له: أتمنى أن تعرف أوربا الإسلام معرفة صحيحة وأن تعتنقه ..

قال الشاب: أنا أومن بالمسيح .. ولكن كنبى فقط لا .. كإله .. وأظنكم تؤمنون به هكذا ...

قلت له: هو نبيي كريم حقًا . وليس إلهًا ولا ابن إله .

فقال الشباب: أنا لا أفكر في شئ سوى الانتحار .. والتخلص من هذه الحياة التى لم أعد أثق فيها أبدًا ... !!!



وفى أمريكا عثر على بقايا عظام وجثث آدمية فى مدينة " سانتا مونكا " فى ظروف غريبة محيرة .. إلا أن المحققين اكتشفوا سر هذه العظام والجثث بعد تحريات دقيقة واسعة ...

وقد تبين من هذه التحريات :

إن هذه العظام وهذه الجثث كانت بقايا " قداس " قام به عبدة الشيطان في مدينة " سانتا مونكا " .. !!

كما أكدت هذه التحريات أن عمليات القتل تمت بعد القيام بأعمال جنسية فاضحة ومخجلة .. !!!

كما تبين أن هذه الطقوس الشيطانية تقام فى أجزاء عديدة من الولايات المتحدة ..

وسرعان ما كشفت التحقيقات عن شخص اسمه " أنطون لافى " وصفته وكالات الأنباء أنه كبير كهنة الشيطان ، أو كبير كهنة جهنم .. !!!

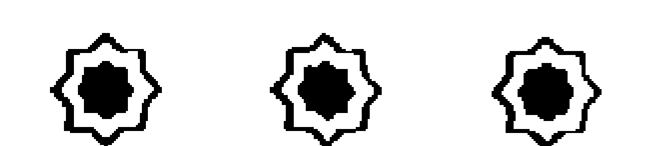
وقد أسس هذا الكاهن الجهنمى كنيسة أطلق عليها اسم كنيسة الشيطان . كما قسم أتباعه إلى أربع درجات بدءًا من الأدنى إلى الأعلى حسب النظام الكنسى المعمول به فى بقية الكنائس الأخرى .

الدرجة الأولى: درجة " تابع " وتطلق على المنخرط الجديد فى سلك " الشيطنة " .

الدرجة الثانية: درجة ساحر أو محارب وتطلق على النشيطين فى الدفاع عن " كبير كهنة جهنم " ..

الدرجة الثالثة: درجة كاهن أو كاهنة وتطلق على من يثبت براعة أو تفوقًا فى خدمة الشيطان .. الأكبر .

الدرجة الرابعة: درجة (كاهن المعبد) أو (كاهنة المعبد) وهى تعادل درجة " الأسقف " أو " المطران " وتلى الدرجة التى يمثلها " كبير كهنة جهنم[1] ...



---

(١) ١٦ يناير سنة ١٩٨٤ م .

لقد نشرت مجلة " نيوزويك " (NEWS WEEK) تحقيقًا مذهلاً عن عدد الطوائف التى بدأت تنتشر على نطاق واسع فى أمريكا وأربا وذلك تحت عنوان عالم الطوائف الغريب : "THE STEARMG CULTES WORLD"

وتقول هذه المجلة :

إن مأساة مدينة " جايانا " لا تزال ماثلة أمام العين .. كيف استطاع قس مجنون اسمه " جونز " أن يسوق ضحاياه إلى الموت بابتلاع السم .. مئات من الرجال والنساء والأطفال ينتحرون تلبية لأوامر الشيطان القس . والذى يعرف باسم الأب " جونز "[١] .. !!!

وبالرغم من مضى خمس سنوات على حدوث هذه المأساة أو هذه المذبحة .. فلا تزال هذه الطقوس تمارس فى كل مكان .. من مدينة "بيرث" فى جنوب استراليا إلى مدينة " باريس " فى فرنسا .. ومن " بوجوننا " إلى " بومباى "فى الشرق الأقصى .

---

(١) وهذا ما حدث أخيرًا فى تكساس . حيث قام " ديفيد قورش " بإحراق مئات الرجال والأطفال فى مستعمرة خاصة . حيث يدعى ديفيد بأنه المسيح المنتظر : أنظر مجلة تايم TIME ١٩٩٣/٥/٣ م.

إن انتشار هذه الطوائف الشيطانية لا تزال آخذة فـى الانتشـار والتوسع ، ومن أهم هذه الطوائف طائفة " صنماينج مون " الذى يزعم أن المسيح اتصل به وباركه منذ حوالى نصف قرن وبهـذا أصبح " صـن مون "هـو المتحـدث باسـم المسـيح فوق هـذه الأرض .. !!

إن " صن مون " كورى الأصل ولكنه أصبح يدير امبراطوريـة شاسعة تتحكـم فـى ملاييـن الأتبـاع ، وبلاييـن الـدولارات .. فـى مختلف قارات العالم الست ..

وهناك طوائف أخرى لا تقل خطرًا عن طائفة " صـن مـايونج " طائفة " المهراجا جيز " أو بعثة " الضوء المقدس " ..

وطائفة " بها جوان شرى راجنيش " أو شعب " البرتقال " ...

وطائفة " برابهوبادا " ...

وطائفة " كريشنا اليقظة " ...

وتقول مجلة " النيوزويك " : NEWS WEEK

إن هنـاك فى البرازيـل وحـدها أكـثر مـن أربعـة آلاف ومائـة طائفة ... !!

كما توجد فى أسبانيا طائفة تطلق على نفسها اسـم " الفيسـاج المقدس " يرأسها قس متمرد اسمه " كليمنت دومينجوز " وهـذه الطائفـة لا تعترف بالبابـا ، وتعتبر " الجنرال فرانكـو " الحـاكم

السابق لأسبانيا " قديسًا " تقام باسمه الصلوات في كنيسة الأب "كليمنت" .. !!

وتقول المجلة :

إن هذه الطوائف لا تعترف بالدين السائد ولا بالدولة ، بل إن بعض هذه الطوائف يقومون باستخدام أسوأ ما لديهم من تطرف.. في جنوب أفريقيا توجد طائفة أطلقت على نفسها اسم " آنا " (IAM) ويقول أحد المنتسبين إلى هذه الطائفة : إن المستجدين يرغمون على القيام برقصات وثنية والخضوع لأفعال مهينة .. !!!

كما أنهم يتعرضون لبذاءات وأعمال يقشعر منها البدن ...!!!

فقد أعلن زعيم هذه الطائفة واسمه " بات جروف " على الملأ بأنه يسعى إلى هدم العقل الذى يعتبر أداة شيطانية .

وفى فرنسا وألمانيا كما فى جنوب أفريقيا توجد هذه الطوائف التى تعتمد على العنف وغسيل المخ ، ومحو كل ما هو قائم أو مقدس فى نظر الحكومة أو الشعب .

لكن لماذا وكيف انتشرت هذه الطوائف على هذا النحو ؟

وكيف زادت وتطورت إلى هذا الحد ؟

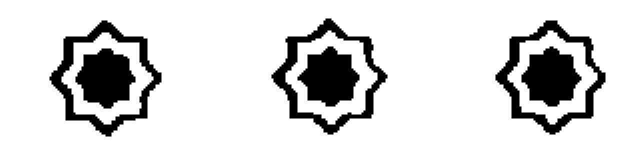
لأن الشباب يبحث عن قيم جديدة بعد أن فشلت الكنيسة فـى ملء هذا الفراغ الهائل . فى العقل أو القلب ..

هذا ما يقوله القس " ديفيد كابكين " من كولومبيا ..

لقد أصبحت الطوائف المسيحية فـى البرازيل أقـل عـددًا مـن الطوائف غير المسيحية ...

كما يقول الأسقف " بوهن " :

إنها غارة عاصفة على المسيحية فى أقطـار كثيرة كمـا يقـول هذا الأسقف ..



ومن الأمور المحيرة .. أن تقف الكنيسة موقفًا سلبيًا مـن كـل هذه الظـواهر العـاصفة والمـدمـرة ، والتـى تحـيط بهـا مـن كل ناحـية ..

إن الكنائس متفرغة فقط لمطاردة الإسـلام وحصـاره .. لقد هربـت مـن معركتهـا الحقيقـة لتحـارب " بـالتنصير " فـى جهـات أخرى ضد المسلمين فى آسيا وأفريقيا ..

وهى بهذا الهروب ترتكيب خطيئتين فى حق نفسها ، وفى حق المسيحية فهى أولاً : تثبت فشلها فى مواجهة الوثنية والخرافة ..

وهذه خطيئتها الأولى .. وهى ثانيًا : لم تتوقف عن إرسال جحافل المنصرين للعدوان على الإسلام والمسلمين فى أنحاء الدنيا .

وهذه هى أكبر الخطايا .. والعقبة الكؤود فى طريق أى تفاهم حقيقى بين الذئب والضحايا ...

والكنيسة فى النهاية هى الخاسرة . فإذا كانت البهائية أو الماسونية تستهدف الإسلام فى حركاتها السرية والهدامة . فهى كذلك تستهدف المسيحية وبنفس القوة .

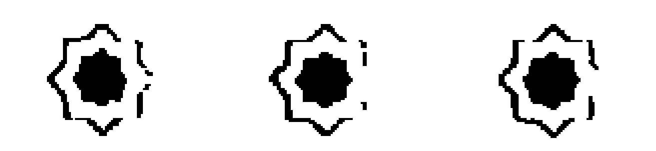
وقد حدث عندما توفى " البرت بويك "[١] .

رئيس الماسونية الأعلى وانتخب " لمى " (LEMY) خلفًا له:

علق صورة المسيح مقلوبة على قصر الماسونية ، وكتب تحتها هذه العبارة الجارحة النابية .

قبل مغادرتكم هذا المكان .. أبصقوا فى وجه هذا الإبليس الخائن .. !!

ولكن الكنائس مشغولة بضرب الإسلام فقط ، وبمطاردة المسلمين الذين يجلون المسيح كإجلالهم للنبى الخاتم محمد .. !!!



(١) فضائح التلمود . ترجمة زهدى الفاتح .

الدور المفقود للمسلمين فى أوروبا

لقد أصدرت " رابطة العالم الإسلامى " منذ سنوات دليلاً للمراكز الإسلامية فى العالم ، وبخاصة فى أوربا وأمريكا لقد تجاوز عدد هذه المراكز الألوف . وبالرغم من هذه الكثرة ، ومن هذه الأعداد الهائلة فقد كنت أشعر بالحسرة عندما يزورنى فى مكتبى بريطانى أو أمريكى أو فرنسى أو ألمانى ليسأل عن الإسلام .

وفى كل مرة كنت أسأل هؤلاء عن مقر سكناهم وأعمالهم فى بلادهم فأفاجأ . بأن الكثيرين منهم يقيمون على مرمى حجر من هذا المركز أو ذاك ...

لقد زارت مسلمة مصرية تعمل مذيعة فى البرامج الموجهة أسبانيا ففوجئت بفتاة أسبانية تسألها إن كانت مسلمة أم محمدية ..؟!!

فلما سألتها المذيعة المصرية عن الفرق بين المسلمة والمحمدية: قالت الفتاة الأسبانية التى كنا يومًا آباءها وأجدادها ..!!

المسلمة هى التى تعبد الشمس .. أما المحمدية فهى التى تعبد محمدًا[١] !!

---

(١) أنظر فى هذا " حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح " . للباحث .

وقد يتوهم بعض الناس فى هذه القصة شيئًا من المغالاة ..

لذلك سأقدم قصة أخرى .. قصة موثقة فى كتاب ألفه معلق سياسى بريطانى معروف فى هيئة الإذاعة البريطانية :

اسم الكاتب " بيتر ما نسفيلد " (PETER MANSIFILD)

واسم الكتاب " الغرب والعرب " (THE WEST AND THE ARAB)

يقول المؤلف :

فى أول أسبوع للدراسة فى المدرسة التى أنشأتها شركة البترول العربية الأمريكية " أرامكو " وجهنا سؤالين إلى الدارسين فى هذه المدرسة للتعرف على مدى ثقافتهم ومعلوماتهم العامة كان السؤال الأول عن الإسلام :

قال أحد الدارسين :

إن الإسلام دين اخترعته عصابة : (الكوكلوكس كلان)[١] !!

وقال أخر :

إن الإسلام حركة ماسونية أمريكية .. !!

أما بالنسبة للنبى محمد .

---

(١) هى عصابة تقتل أى إنسان غير مسيحى أو أى إنسان ملون .

فقد قال أحد الدارسين

إنه مؤلف ألف ليلة وليلة .. !!

وقال آخر :

إنه قس زنجي أمريكى ..

وفى ألمانيا قال لى إمام أحد المساجد :

إن أسرة ألمانية حضرت إلى المسجد لتسأل عن الجمل الذى يعبده المسلمون .. !!

حدث هذا بالرغم من وجود أكثر من ثمانية ملايين من المسلمين فى أمريكا .

وأكثر من ثلاثة ملايين فى ألمانيا .

وحوالى أربعة ملايين مسلم فى فرنسا .

وحوالى مليونى مسلم وستمائة مسجد فى بريطانيا ..

والسؤال هو :

على من تقع مسئولية هذا الجهل .. ؟

إنها تقع على كل المسملمين أولاً ..

وعلى كل العاملين فى المراكز الإسلامية جميعًا ..

حقائق وأباطيل :

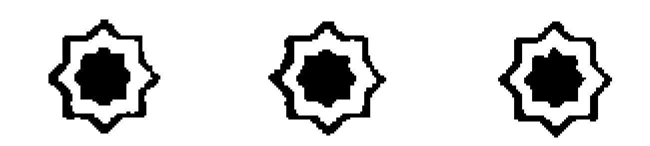
إن الهجوم على الإسلام – فى بلاد الغرب – يرتكز على ثلاثة محاور هى :

أولا : اتهام الإسلام بمهانة المرأة .

ثانيًا : اتهام الإسلام بالسيف والعنف .

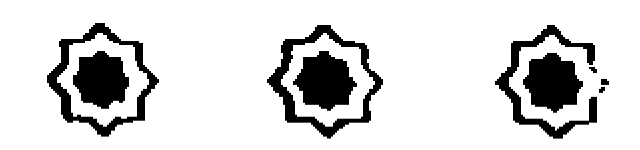
ثالثًا : اتهام الإسلام بالتخلف والجهل .

ومصدر العجب والدهشة فى هذه الاتهامات الثلاثة أن الذين يروجون لهذه الأباطيل – فى بلاد الغرب – وبخاصة رجال الكنيسة يعرفون – قبل غيرهم – بطلان هذه الأباطيل والحجج ، ويعلمون علم اليقين أن ما يقولونه زور وبهتان لا أساس له فى الواقع أو الكتب ..



إن قضية المرأة من أهم القضايا التى يجب أن يلم بها الداعية من جميع جوانبها .

إنها المدخل الحقيقى إلى عقل الأوروبى وضميره ، واجتثاث جذور الشك والكراهية من قلبه .



ومن الأوهام الشائعة :

أن الدين الإسلامى هو الدين الوحيد الذى أباح تعدد الزوجات بين الأديان الكتابية .

لأن الواقع الذى تدل عليه كتب الإسرائيليين والمسيحيين أن تعدد الزوجات لم يحرم فى كتاب من كتب الأديان السماوية الثلاثة . وكان عملاً مشروعًا عند أنبياء بنى إسرائيل وملوكهم فتزوجوا بأكثر من واحدة وجمعوا بين عشرات الزوجات والجوارى .

ويقول " وستر مارك " (WESTER MARK) العالم الحجة فى شئون الزواج على اختلاف النظم الإنسانية :

إن الكنيسة والدولة معًا كانتا تقران تعدد الزوجات إلى منتصف القرن السابع عشر[(١)] ..

فلنقرأ معًا ما يقوله الكتاب المقدس فى سفر الملوك الأول :

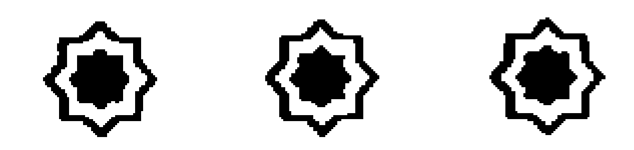
... وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون مؤابيات ، وعمونيات ، وأدوميات ، وصيدونيات ، وحيثيات ، من

---

(١) الإسلام فى القرن العشرين - عباس العقاد - ص ٢٢ - دار الهلال وانظر فى ذلك أيضًا كتابنا " فى محكمة التاريخ " طبعة دار الشروق - القاهرة . (كما يراجع فى هذا أيضًا سفر الملوك من العهد القديم) .

الأمم التى قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم ، ولا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم .

فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى. فأمالت نساؤه قلبه ، وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب[١] ..



وإذا كان من المعروف أن المسيحيين لا يمارسون تعدد الزوجات فإن فريقًا من الباحثين يرى أن تعاليم المسيحية الأولى لم تكن تتضمن مثل هذا التحريم ، ويدلل على رأيه على بحجج قوية نذكر بعضها فيما يلى :

أولاً: أن الإنجيل لا يتضمن نصًا واحدًا يحرم تعدد الزوجات ، ومعروف أن السيد المسيح ولد وبشر بتعاليمه فى بيئة يهودية ، واليهود فى ذلك الوقت كانوا يعرفون تعدد الزوجات ويمارسونه، لا سيما الأغنياء والرؤساء منهم .

ويبدو غريبًا والحال كذلك أن يقصد السيد المسيح إلى تحريم تعدد الزوجات ولا ينص على هذا التحريم صراحة .

---

(١) سفر الملوك الأول .

وفضلاً عن ذلـك فإن الأغنيـاء بصـورة خاصـة هـم الذيـن كـانوا يمارسـون تعـدد الزوجـات . وقـد هـاجم السـيد المسـيح أغنيـاء اليهود ورؤساءهم ، وندد برذائلهم فلو قصـد حقيقـة إلـى تحريـم تعدد الزوجات لما سكت عليه ، بل لهاجمه بوصفـه إحـدى هـذه الرذائل .

ثانيًا : أن " لوثر " كان ينظر إلي تعدد الزوجات بشيء كثير من التسامح ، فقد قال فيــه : " إن الـرب لـم يحرمـه وإبراهيـم نفسـه كانت له زوجتان ، حقًا أن الرب لم يسمح بمثـل هـذه الزيجـات إلا لبعض الرجال فى التوراة وفى ظل ظـروف خاصـة ، وأن علـى المسيحى الذى يريــد الاقتـداء بهـم أن يثبـت أن ظروفـه مشـابهة لهذه الظروف ، إلا أن تعدد الزوجات أفضل يقينًا من الطلاق "..

ثالثًا : إن بعض الفرق المسيحية ناضلت بشدة مـن أجـل تقريـر تعدد الزوجات وممارسته ..

من هذه الفرق مثلاً : " الأنابتيست " (THE ANAPISTIST) فى ألمانيا (فى منتصف القرن السادس عشر) ، حيث كانوا يبشرون بتعدد الزوجات علانية، ويقولون إن المسيحى الحقيقى يجـب أن تكون له زوجات متعددات.

ومنها " المورمون " (THE MORMONS) فى الولايات المتحدة الأمريكية (فى أوائل القرن التاسع عشر) الذين كـانوا يمارسـون

تعدد الزوجات ، وينظرون إليه باعتباره نظامًا إلهيًا ، ومن الطريف أنهم كانوا ينظرون إلى الزوجة الأولى بوصفها الزوجة الحقيقية ، ومن حقها وحدها أن تحمل اسم زوجها ولقبه .

رابعا : أن بعض ملوك أوربا وأمرائها فى العصر الوسيط مارسوا تعدد الزوجات نذكر منهم شارلمان وفيليب أمير هيس ، وفردريك أمير بروسيا فقد كانت لكل منهم زوجتان .

ومن رأى هذا الفريق من الباحثين أن تحريم تعدد الزوجات فى أوربا يرجع إلى تأثير التقاليد اليونانية والرومانية .

فقد كان اليونان والرومان يتبعون مبدأ وحدة الزوجة وذلك قبل ظهور المسيحية بمئات السنين ، ولم يكن الرجل لدى الرومان فى البداية يعاقب إذا اتخذ زوجة ثانية قبل أن يفصم زواجه الأول ، وإبرام الرجل زواجًا ثانيًا كان يعتبر فى حد ذاته منطويًا على فصم للزواج الأول ، وفيما بعد عوقب الرجل الذى يتزوج ثانية قبل أن يفصم زواجه الأول ، ومن عجب أن الذى عاقب على الجميع بين امرأتين هو الامبراطور " دقلديانوس " الذى اقترن اسمه باضطهاد المسيحيين اضطهادًا شهيرًا فى التاريخ[1] ..

---

(١) أنظر فى هذا الموضوع : تعدد الزوجات لدى الشعوب الأفريقية . – د. محمد زناتي – صفحة ٦٩ وما بعدها . (وأنظر أيضًا كتابنا " فى محكمة التاريخ ") .

وينتهى هذا الفريق من الباحثين إلى أن تعدد الزوجات لم يحرم في المسيحية إلا في القرون الوسطى ، ومن جانب الكنيسة الكاثوليكية بصفة خاصة .

ويقول : " نيوفلد " صاحب كتاب " قوانين الزواج عند العبرانيين الأقدمين " :

" إن التلمود والتوراة معًا قد أباحا تعدد الزوجات على إطلاقه وإن كان بعض الربانيين ينصحون بالقصد فى عدد الزوجات .

وإن قوانين البابليين وجيرانهم من الأمم التى اختلط بها بنوا سرائيل كانوا جميعًا على مثل هذه الشريعة فى اتخاذ الزوجات والإماء " .

ومما لاحظه معظم المؤرخين – أن إباحة تعدد الزوجات على إطلاقة مصحوبة بإباحة التسرى على أنواعه ، وهى كثيرة كما يؤخذ من الأسماء التى كانت تطلق على النساء المملوكات فى مصطلحات العهد القديم ، فكان للرجل أن يملك ما يشاء بين أمة وسرية وجارية وعبدة وسبية من النساء المملوكات بالسبى أو الشراء ، وقد يؤخذ من أعمالهن المنسوبة إليهن فى كتب العبرانيين أنهن درجات مختلفات فى المنزلة الاجتماعية والصفات الشرعية ، ولكن الواحدة منهن قد تذكر باسم جارية فى موضع واسم أمة فى موضع آخر ، ويعود هذا – على الأرجح

- إلى حالة المالك الذى يستطيع أحيانًا أن يخصص للخدمة المنزلية خادمة غير السرية ويحتاج إلى استخدام السرية فى أعمال البيت كلها مما تقوم به الزوجة عادة حيث لا توجد الجارية أو السرية .

وأيًا كان عمل النساء المملوكات فهن - بطبيعة الحال - لا يتساوين فى المكانة الأدبية ولا فى قيمة الثمن ، ولا فى صفات الجمال والذكاء ..

ومنهن من كانت تحل محل الزوجة العقيم برضا الزوجة ، لتلد للرجل ذرية تتبناها تلك الزوجة ، وتنتقل إليها حقوقها فى الميراث ، وتظل الجارية أم البنين فى مقام وسط بين مقام ربة البيت والأمة المملوكة التى تباع وتشترى .

وكل هذه العلاقات بين الرجل ونساء بيته كانت تباح على إطلاقها ولا يشرع لها قيد غير قيد الوثيقة الشرعية ، سواء كانت وثيقة زواج أو وثيقة شراء .

وبقيت حقوق الزوجات ، وأشباه الزوجات ، على هذه الحال فى الشرائع القديمة قبل الإسلام إلى زمن بعيد[١] ..

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون للمرحوم الشيخ الدكتور مصطفى السباعى .
- المرأة فى القرآن ، عباس محمود العقاد .
- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه - العقاد .
- فى محكمة التاريخ - للباحث .

ثم جاءت المسيحية - ولم يرد فى كتبها نص صريح بتحريم تعدد الزوجات وإنما ورد فى كلام " بولس " استحسان الاكتفاء بزوجة واحدة ، لرجل الدين المنقطع عن مآرب دنياه .

وبقى تعدد الزوجات مباحًا فى العالم المسيحى إلى القرن السابع عشر ، كما جاء فى تواريخ الزواج بين الأوربيين ، ويقول : " وستر مارك " فى تاريخه :

(إن " ديارمات " ملك إيرلنده كان له زوجتان وسريتان ، وتعددت زوجات الملوك الميروفنجيين غير مرة فى القرون الوسطى ، وكان لـ " شرلمان " زوجتان وكثير من السرارى ، كما يظهر من بعض قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولاً بين رجال الدين أنفسهم ، وبعد ذلك بزمن كان " فيليب أوف هيس " و " فردريك وليام الثانى البروسى : بيرمان عقد الزواج مع اثنتين بموافقة القساوسة اللوثريين ..

وفى سنة ١٦٥٠ الميلادية - بعد صلح وستغاليا ، وبعد أن تبين النقص فى عدد السكان من جراء حروب الثلاثين - أصدر مجلس الفرنكيين (بنور مبرج) قرارًا يجيز للرجل أن يجمع بين زوجتين ..

بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية إلى إيجاب تعدد الزوجات . ففى سنة ١٥٣١م نادى اللامعمدانيون فى " مونستر " صراحة بأن المسيحى ينبغى أن تكون له عدة زوجات ويعتبر "المورمون" كما هو معلوم أن تعدد الزوجات نظام إلهى مقدس .

فالنصرانية ليس فيها نص صريح يمنع أتباعها من التزوج بامرأتين فأكثر ، ولو شاؤا لكان تعدد الزوجات جائز عندهم ، ولكن رؤساءها القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة أقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها - وكان ذلك شائعًا فى الدولة الرومانية - فلم يعجز تأويل آيات الزواج حتى صار التزوج بغير امرأة حرامًا كما هو مشهور ..

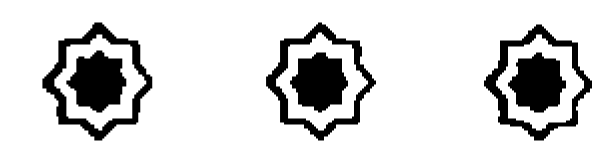
ونرى المسيحية المعاصرة تعترف بالتعدد فى أفريقيا السوداء ، فقد وجدت الإرساليات التبشرية نفسها أمام واقع اجتماعى وهو تعدد الزوجات لدى الأفريقيين الوثنيين ، ورأوا أن الإصرار على منع التعدد يحول بينهم وبين الدخول فى النصرانية فنادوا بوجوب السماح للأفريقيين المسيحيين بالتعدد إلى غير حد محدود ، وقد ذكر السيد "تورجيه "[١] هذه الحقيقة ثم قال :

---

(١) الإسلام والنصرانية فى أواسط أفريقيا ص ٩٢ - ٩٨ - الترجمة العربية .

" لقد كان هؤلاء المرسلون يقولون إنه ليس من السياسة أن نتدخل فى شئون الوثنين الاجتماعية التى وجدناهم عليها ، وليس من الكياسة أن نحرم عليهم التمتع بأرواحهم ماداموا نصارى يدينون بدين المسيح ، بل لا ضرر من ذلك مادامت التوراة وهى الكتاب الذى يجب على المسيحيين أن يجعلوه أساس دينهم تبيح هذا التعدد ، فضلاً على أن المسيح قد أقر ذلك فى قوله :

" لا تظنون أنى جئت لأهدم بل لأتمم " أ. هـ.



ولقد وجدت الشعوب الغربية المسيحية نفسها تجاه زيادة عدد النساء على الرجال عندها - وبخاصة بعد الحربين العالميتين - إزاء مشكلة اجتماعيد خطيرة لاتزال تتخبط فى إيجاد الحل المناسب لها .

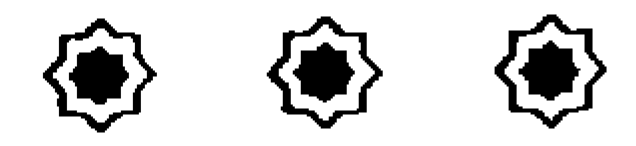
وقد كان من بين الحلول التى برزت ، إباحة تعدد الزوجات . فقد حدث أن مؤتمرًا للشباب العالمى عقد فى " ميونيخ " بألمانيا عام ١٩٤٨ - واشترك فيه بعض الدارسين المسلمين من البلاد العربية .

وكان من لجانه لجنة تبحث زيادة عدد النساء فى ألمانيا أضعافًا مضاعفة عن الرجال بعد الحرب .

وقد استعرضت مختلف الحلول لهذه المشكلة وتقدم الأعضاء المسلمون فى هذه اللجنة باقتراح تعدد الزوجات . وقوبل هذا الرأى أولاً بشئ من الدهشة والاشمئزاز ولكن أعضاء اللجنة اشتركوا جميعًا فى مناقشته فتبين بعد البحث الطويل أنه لا حل غيره .

وكانت النتيجة أن أقرت اللجنة توصية المؤتمر بالمطالبة بإباحة تعدد الزوجات لحل المشكلة ..

وفى عام ١٩٤٩م تقدم أهالى " بون " عاصمة ألمانيا الاتحادية بطلب إلى السلطات المختصة يطلبون فيه أن ينص الدستور الألمانى على إباحة تعدد الزوجات[١] .. !!!



لكن ... ماذا عن موقف الإسلام من عمل المرأة ؟

إنه إذا كان طلب العلم فريضة على المسلم والمسلمة فكذلك العمل فريضة على الرجل المسلم والمرأة المسلمة ...

ولكن أى عمل ؟

(١) الدكتور محمد يوسف موسى – فى الأحكام الشخصية – ص ١٢١ – طبعة ثانية . وكتاب " الإسلام وحاجة الإنسانية إليه " – له أيضًا .

هـذا هــو مربط الفرس .. وهذه بدايـة الخـلاف فـى وجهـات النظر ..

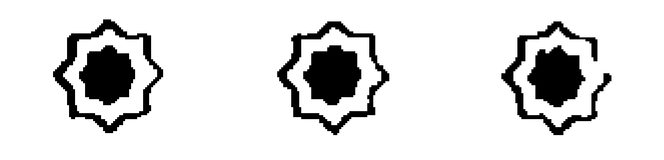
إن أقدس عمل تقوم به المـرأة عندنـا نحـن المسـلمين هـو مـا يتفق مع الفطرة .. إننا لم نخلق فى هذه الحيـاة عبثًـا .. والخـالق الأعظم زود كلاً من الرجل والمرأة بخصائص تؤهـل كـلاً منهمـا لوظيفته التى خلق من أجلها ..

وقد بين الإسلام للرجل والمرأة مجـالات عمـل كـل منهمـا . وهذا التحديد لم يفرض على أى منهمـا قهـرًا ، ولكنهـا مجـالات تحددها الفطرة .

وتحددها الطبيعة وتحددها بوضوح أكثر العلوم والدراسـات الحديثة ..

والأسـرة مـن وجهـة نظـر إسـلامية هـى المجـال الأول لعمــل المرأة ..

إن بناء سفن الفضــاء ، وصناعـة البـوارج والطـائرات لا يعتـبر شـيئًا بالنسـبة لبنـاء الإنســان الـذى استخلفه الله فـوق هـــذه الأرض ...



أما " العمل " بالصورة الماثلة أمام أعيننا هنا فى " أمريكا " أو فى " أوربا " ..

فلا أظن عاقلاً أو منصفًا يوافق على ما انتهت إليه المرأة فى هذه المجتمعات كلها .. يقول " ألكسيس كاريل "[(١)] :

" لقد ارتكب المجتمع العصرى غلطة جسيمة باستبداله المدرسة بتدريب الأسرة استبدالاً تامًا ..

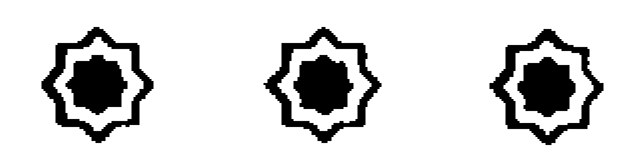
ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى يستطعن الانصراف إلى أعمالهن .. أو مطامعهن أو مباذلهن أو للعب البريدج أو ارتياد دور السينما ، وهكذا يضيعن أوقاتهن فى الكسل ، إنهن مسئولات عن اختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التى يتصل فيها الطفل بالكبار ، فيتعلم عنهم أمورًا كثيرة .. إن الكلاب الصغيرة التى تنشأ مع أخرى من نفس عمرها فى حظيرة واحدة ، لا تنمو نموًا مكتملاً كالكلاب الحرة التى تستطيع أن تمضى فى إثر والديها ...

والحل كذلك بالنسبة للأطفال الذين يعيشون وسط جمهرة من الأطفال الآخرين وأولئك الذين يعيشون بصحبة راشدين

---

(١) فى كتابه الإنسان هذا المجهول .

أذكياء . لأن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجي والعقلى طبقًا للقوالب الموجودة فى محيطه ، إذ أنه لا يتعلم إلا قليلاً من الأطفال فى مثل سنه . وحينما يكون مجرد وحدة فى المدرسة ، فإنه يظل غير مكتمل ، ولكى يبلغ الفرد قوته الكاملة فإنه يحتاج إلى عزلة نسبية ، واهتمام جماعة اجتماعية محدودة تتكون من الأسرة)[١] ..



لقد وقفت أستاذة إنجليزية تقول فى حفل تكريمها بعد أن بلغت الستين سنة تقول :

" ها أنا قد بلغت الستين من عمرى ، وصلت فيها إلى أعلى المراكز .. نجحت وتقدمت فى كل سنة من سنوات عمرى ..

وحققت عملاً كبيرًا فى المجتمع .. كل دقيقة كانت تأتى على بالربح حصلت على شهرة كبيرة وعلى مال كثير .. أتيحت لى الفرصة أن أزور العالم كله ..

ولكن .. هل أنا سعيدة الآن بعد أن حققت كل هذه الانتصارات .. ؟

---

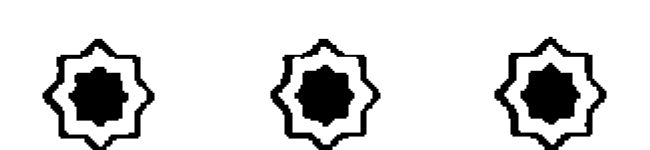
(١) الدكتور محمد يوسف موسى – فى الأحكام الشخصية – ص ١٢١ – طبعة ثانية . وكتاب " الإسلام وحاجة الإنسانية إليه " – له أيضًا .

لقد نسيت فى غمرة انشغالى فى التعليم والسفر والشهرة أن أفعل ما هو أهم من ذلك كله بالنسبة للمرأة ..

نسيت أن أتزوج .. وأن أنجب أطفالاً .. وأن أستقر ..

إننى لم أتذكر ذلك إلا عندما جئت لأقدم استقالتى .. شعرت فى هذه اللحظة أننى لم أفعل شيئًا فى حياتى .. وأن كل الجهد الذى بذلته طوال هذه السنوات قد ضاع هباء .. فسوف أستقيل .. وسيمر عام على استقالتى وبعدها ينسانى الجميع ..

ولكن .. لو كنت تزوجت ، وكونت أسرة ، لتركت أثرًا أكبر وأحسن فى الحياة .. إن وظيفة المرأة الوحيدة هى أن تتزوج ، وتكون أسرة ، وأى مجهود تبذله غير ذلك لا قيمة له فى حياتها هى بالذات ... إنى أنصح كل طالبة تضع هذه المهام فى اعتبارها وبعدها تفكر فى العمل والشهرة (١) .



وقد زارت كاتبة أمريكية اسمها " هيلين ستانبرى " البلاد الإسلامية والعربية فقال :

" إننى أطالبكم بالحفاظ على تقاليدكم التى تنظم العلاقات بين الفتاة والشاب طبقًا لتعليم الإسلام .

---

(١) الأهرام – ١٩٦١/٥/١٩ .

إن مجتمعكم يختلف عن المجتمع الأمريكى فعندكم تقاليد موروثة تفرض على الابن احترام الأب واحترام الأم على خلاف ما نراه فى بلادنا من إباحية وفجور وفوضى ..

بل إنه خير لكم أن تعودوا إلى عصر الحجاب .. فهذا خير لكم من مجون وإباحية أمريكا وأوروبا .. !!!

امنعوا الاختلاط أكررها مائة مرة لكل فتى وفتاة .. فقد عانينا منه فى أمريكا الكثير ، وأصبح المجتمع الأمريكى مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة .. وضحايا هذا الاختلاط يملأون السجون والأرصفة والبارات وبيوت الدعارة .. !!

والعجب بل والغريب أيضًا .. فى أوروبا وأمريكا .. أن الفتاة الصغيرة تلهو وتلعب وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها ، بل وتتحدى والديها ومدرسها والمشرفين عليها .. تتحداهم باسم الحرية .. وباسم الإباحية .. وباسم الاختلاط والفوضى ..

تتزوج فى دقائق(١) ..
ثم تطلق بعد ساعات .

ولا يكلفها هذا أكثر من إمضاء على ورقة .. ودفع عشرين سنتًا وعريس لليلة واحدة .. أو لبعض ليالى .. !!!

---

(١) أنظر كتابنا " فى محكمة التاريخ " – دار الشروق – القاهرة .

ثم يأتى الطلاق .. وربما الزواج .. ثم الطلاق مرة أخرى..!!!

لقد سيطرت المادة على كل شىء .. وتحول الإنسان إلى " ترس " فى آلة شرسة ضخمة .. وأفلست الكنيسة فلم يبق من مراسيمها ورسومها إلا صور باهتة على جدرانها الخرساء .. !!

لقد تحولت إلى مغارة .. " مغارة لصوص " كتلك المغارة التى هدمها المسيح قبل ذلك .. على الثعالب والذئاب .. !!

نأتى إلى القضية الثانية قضية الإسلام والسيف أو اتهام الإسلام بالعنف وأكرر ما سبق أن قلته سابقًا :

إن الذين يثيرون هذه القضية – وبخاصة من رجال الكنيسة – يعرفون سقوط حججهم – إن كانت لهم حجة : أولاً .

ويعرفون مدى التزوير والتدليس الذى يرتكبونه : ثانيًا .

إن المسيحية – لا الإسلام – هى الدين الوحيد الذى شن حروب الإبادة ضد مخالفيه فى العقيدة .

من منا لم يسمع بطرس الناسك .. والبابا أوربانوس .. رجلان أشعلا نيران حرب استمرت قرابة ثلاثمائة سنة ضد الإسلام والمسلمين دون مبرر واحد لهذه الجريمة ولهذه الحرب .

يقول (بريفولت) "BRIFAULT" فى كتابه : " بناة الإنسانية "
THE MAKFONG OF HUMAMITY

إن تقدير المؤرخين للذين قتلتهم المسيحية في انتشارها فى أوروبا يتراوح بين سبعة ملايين وخمسة عشر مليونًا كحد أدنى..

إن فظاعة هذا الرقم تتضح لنا عندما نعلم أن عدد سكان أوروبا ، فى ذلك الوقت - كان ضئيلاً بالنسبة لعدد سكانها اليوم .

كانت الفظاعة والمذابح التى قام بها المسيحيون ضد خصومهم تجد لنا سندًا فى التوراة التى تطالب بتحريق المدن وقتل كل من فيها من رجال ونساء وأطفال(١) ..

وكان الذين يقومون بتلك العمليات الوحشية يزعمون لأنفسهم أنهم يتقربون إلي الله .. بهذا العمل ..

وقد عبرت عن ذلك ملكة إنجلترا الكاثوليكية فى القرن السادس عشر الملكة " مارى " حين أعلنت مرة :

بما أن أرواح الكفرة سوف تحرق فى جهنم . فليس هناك أكثر شرعية من تقليد الانتقام الإلهى بإحراقهم على الأرض .. !!

ومن العجيب أن البروتستانت حين قويت شوكتهم فعلوا الشيء نفسه مع الكاثوليك . ولم يكونوا أقل وحشية منهم .

لقد قال " مارتن لوثر " لأتباعه :

---

(١) أنظر العهد القديم : سفر التثنية - وكتاب " الإسلام وخرافة السيف " للباحث .

" من استطاع منكم . فليقتل .. فليخنق .. فليذبح سرًا أو علانية .. اقتلوا واذبحوا هؤلاء الفلاحين الثائرين[١] .. !!

إن الدين الذى فرض بالسيف وحروب الإبادة .. ليس الإسلام .. بل المسيحية ..

" فشارلمان " فرض المسيحية على " السكسون " بحد السيف .

وفى الدانمارك : استأصل الملك (كنوت) "KNOT" الديانات غير المسيحية من بلاده بالقوة والإرهاب ..

وفى " بروسيا " فرضت جماعة " إخوان السيف " THE SOWRDBROTHERS .

المسيحية على الناس بالسيف والنار .

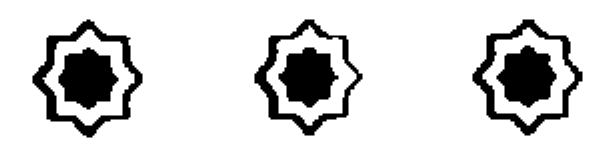
وفى جنوب " النرويج " ذبح الملك " أولاف " كل من أبى اعتناق المسيحية .. وفى " روسيا " فرض الأمير " فلاديمير " المسيحية على الروس فرضًا وبالقوة . وبحروب الإبادة .

وفى " الجبل الأسود " . قاد الأسقف " دانيال " عملية ذبح

---

(١) الأيديولوجية الانقلابية – نديم البيطار – ص ١١٠ – .

غير المسيحيين بمن فيهم من المسلمين – يتكرر المشهد فى البوسنة والهرسك[١] .. وكوسوفا .. والشيشان .



لقد كان القصد الأعلى للمسيحية إنشاء عالم مسيحى جديد ليس فيه سوى المؤمنين بالمسيحية لهذا كان غير المسيحيين يعيشون خارج المجتمع ، وفى انتظار القتل متى يأتى ومتى يقع . !!

❁ ❁ ❁

كيف تغيب هذه البدهيات عن المراكز الإسلامية والدعاة العاملين فى بلاد الغرب ..

إن أوروبا التى تتباهى بثرائها وقوتها عليها أن تخجل من هذه الجرائم ..

إن اكتشاف أمريكا . تم .. على جثث شعوب كاملة أبادها الغرب .. وقد ظهر كتاب جديد اسمه " القارة المفقودة "

---

(١) أنظر فى هذا الموضوع : " الدعوة إلى الإسلام " توماس أرنولد – وكتاب " الغزو الفكرى " وهم أم حقيقة ؟ – د. محمد عمارة ص ١٤٣ . ١٤٤ . ١٤٥ وانظر كتابنا " الإسلام وخرافة السيف " .

يتحدث فيه المؤلف : عن قتل حوالى تسعين مليونًا من قبائل المايا والهنود الحمر .. !!

والذى حدث فى محاكم التفتيش ؟

إن أوروبا تحمل أكبر سجل للجرائم والمذابح .. والكارثة الكبرى أن تقع هذه المذابح والجرائم باسم المسيحية والمسيح ..

لقد قتل فى الحرب العالمية الأولى حوالى عشرة ملايين .

وقتل فى الحرب العالمية الثانية حوالى سبعين مليونًا ..

ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية قتل فى العالم أكثر من خمسة وثلاثين مليونًا .. كما يقول تقرير هيئة الأمم ..

إن سفاحًا واحدًا اسمه " ستالين " قتل حوالى ٣٠ ثلاثين مليونًا أثناء حكمه الدموى ..

ومنظمات الإرهاب ؟

الجيش الجمهورى الإيرلندى فى لندن ..

الجيش الأحمر فى اليابان وإيطاليا وألمانيا ..

واليوم السابع عشر فى اليونان ..

و " إيتا " فى أسبانيا ..

ومنظمات المافيا التى تحولت إلى حكومات منظمة فى أمريكا وإيطاليا ..

على دعاة الإسلام أن يدركوا هذه الحقائق .. وأن يلقموا من يتهم الإسلام بالسيف أو بالعنف " جبلاً " من " لهب " .. وأن يواجهوا المفترين بالحقائق الناصعة التى تدحض التزييف والكذب ..

الإسلام والسيف ، أو الإسلام والعنف خرافة لا تزال حتى يومنا هذا تتردد فى وسائل الإعلام الغربية فى مختلف أشكاله وصوره ..

إن حمرة الخجل لم تعد معروفة فى قاموس ساسة الغرب إنهم يطلقون الكذبة .. ثم يصدقونها عن سوء نية وقصد ..

وكما يقول " جوستاف لوبون "[١] :

إن الغرب فى موقفه من الإسلام يلغى كل وظائف العقل ، ويتجاهل الحقائق الناصعة لخدمة أغراضه ومصالحه بعيدًا عن الحق .. أين هذا السيف الذى استعمله المسلمون .. ومتى .. ؟

---

(١) حضارة العرب . جوستاف لوبون – ترجمة فتحى زغلول .

فى الأندلس أم فى الهند ؟ فى بلاد الشام أم فى مصر لقد حكم المسلمون الأندلس عدة قرون لم يؤثر فى يوم واحد منها إرغام أحد على ترك دينه ..

بل العكس .. عندما دالت دولة المسلمين أبيدوا عن آخرهم بالنار والسيف ..

فى الهند وقد حكمها المسلمون سبعة قرون .. فأين هو سيف المسلمين الذى أبقى على أكثر من سبعمائة مليون هندوسى وبوذى فى بلاد الهند ..

حتى الأتراك العثمانيون الذين وصلت جيوشهم إلى أبواب فينا ..

كيف تركوا الملايين فى بلغاريا ، واليونان ، والمجر ، ويوغسلافيا على دينهم القديم دون أن يرغموا أحدًا على اعتناق الإسلام بكلمة أو بحرف بل تركوا " الصرب " الذين يحقرون المسلمين ويهتكون أعراضهم علنا وعلى مرأى ومسمع من أمم الغرب ومن هيئة الأمم المتحدة التى أصبحت عارًا ورمزًا لتقنين حروب الإبادة والقمع ؟

المحور الثالث من محاور الهجوم على الإسلام فى بلاد الغرب :

الزعم بأن الإسلام دين التخلف والجهل وأنه ضد الحضارة والتقدم والعلم ..

ومن الذى سلم أوروبا مفاتيح الحضارة والعلم ومن أى الجامعات صدرت نظريات هذه الحضارة التى تفاخر بها شعوب الغرب ؟

أكرر ما سبق أن قلته مرة ومرتين ..

إن هؤلاء المروجين لهذه الخرافة هم أول الناس معرفة بكذب هذه الدعوى .. وهم أعرف الناس بزيف هذه الخرافة التى ينشرونها فى أنحاء الدنيا ..

إن أول آية نزلت من القرآن . كاننت عن القراءة والعلم وعن "القلم" الذى هو أداة المعرفة والثقافة والعلم ..

﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ – الآيات – سورة العلق ١ : ٥

وفى هذا أعظم الدلالة على مكانة التعليم والعلم ، وفى هذا أعظم دلالة على أن الأمة الإسلامية لا تستحق هذه الصفة إلا بالعلم ، وفى هذا أعظم دلالة على أن الإسلام .. لا يجتمع مع الجهل ، وأن السيادة فى هذه الدنيا لا تكون إلا بالعلم . وتحصيل العلم ، والسعى والطلب الدائم فى سبيل العلم ..

لماذا استخلف الله آدم فى الأرض . ولماذا فضله على الملائكة ؟ إنه العلم ..

﴿ إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ... ﴾ – الآيات – ٣٠: ٣١ (سورة البقرة) .

إن الناس فى نظر الإسلام واحد من اثنين .

إما متعلم يطلب العلم .. وإما عالم يطلب المزيد من هذا العلم ..

يقول الرسول ﷺ :

" العالم والمتعلم شريكان فى الخير . ولا خير فى سائر الناس " ..

ويقول ﷺ :

" من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة " .

" وأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع " .

" وأن العلماء ورثة الأنبياء وأن العلماء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا .. وإنما ورثوا العلم . فمن أخذه أخذ بحظ وافر " وقد يتساءل البعض عن العلم الذى يدعو إليه الإسلام هل هو العلم بعلوم الدين فقط ..

أم العلم بكل شئون الحياة والكون .. ؟

ونقول جوابًا على ذلك ..

إن العلم فى الإسلام يتناول كل موجود فى هذا الكون والبحث عما لم يعرف ولم يكشف فى هذا الكون .

فالقرآن يدعو المسلم إلى دراسة الدين وفقهه ..

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ .. الآية ١٣٢ " التوبة " .

ويدعوه إلى دراسة النفس والكون :

﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ﴾ .. فصلت : آية ٦٣ .

ويدعوه إلى دراسة التاريخ وأحوال الأمم :

﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ – الآية ٢١ غافر .

ويدعوه إلى دراسة الزراعة وعلم النبات :

﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبًا ، ثم شققنا الأرض شقا ... ﴾ – الآيات – من سورة عبس – ٢٤ : ٣٠ – .

ويدعوه إلى دراسة علم الحيوان والأحياء :

﴿ أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ... ﴾ – الغاشية ١٧ : ١٩

– ويدعوه إلى دراسة الفلك وعلوم الفضاء :

﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ...﴾ – ١٩٠ : ١٩٢ " آل عمران " .

﴿ والشمس تجرى لممستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ – سورة يس ٣٨ ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ – سورة يس ٣٩ .

ويدعوه إلى دراسة الجيولوجيا والبحث عن ثروات الأرض :

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء . فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ - فاطر ٢٧ - ٢٨ - .

فإذا كان في تاريخ أمتنا علماء أجلاء . كمالك وأبي حنيفة ، والشافعي وابن حنبل ، وجعفر الصادق ، في علوم الدين والفقه .

فقد كان هناك أيضًا علماء أجلاء . كابن سينا وابن الهيثم ، وابن النفيس والكندى والإدريسي . والبغدادى ، والقزويني . والبيروني الذى ولد في بيرون ويقول المستشرقون عنه إنه كان أعظم عقلية عرفها تاريخ العلم .

يقول عنه أحد أصدقائه :

لقد دخلت عليه وهو في النفس الأخير من مرضه فإذا به يقول لي :

ماذا فعلت في المسألة التي كنت أناقشك فيها بالأمس . هل وصلت إلى حل فيها ؟

فقال له صاحبه :

وأنت في مثل هذا الحال . وعلى أبواب الموت تسأل هذا السؤال ؟

فقال له : البيرونى .. لأن ألقى الله وأنا بها عالم . خير من ألقى الله وأنا بها جاهل ..

قال صاحبه : فما كدت أترك البيت حتى سمعت الصريخ يعلن أن البيرونى قد مات ..

إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . ويوم وعى المسلمون هذه الحقيقة أصبحوا سادة الدنيا ونجومها المشرقة .. وانتشرت أضواء حضارتهم لتشمل العالم كله .

حدث هذا كله فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تعتبر العلم جريمة ، وفى الوقت الذى كانت تفخر فيه أوروبا بأن " الجهل " هو أبو الأيمان والعقيدة ، وفى الوقت الذى كانت الكنيسة " تنصب الرجل قديسًا " لأنه ألغى عقله ولم يستحم فى حياته مرة واحدة ..!!!

حدث فى الوقت الذى كانت أوروبا تحاكم فيه الفيران لأنها تسرق ما تأكله من مخازن الطعام فى البيوت .!!!

أوروبا التى عقدت محاكمة لأحد الديوك بتهمة أنه باض[1] ..

---

(١) أنظر فى هذا الموضوع كتاب " من روائع حضارتنا " ..

أوربا التى حاكمت ٣٠٠,٠٠٠ ثلاثمائة ألف من العلماء لأنهم يستعملون عقولهم في التفكير . بدلاً من الخضوع المطلق لتعاليم الكنيسة .

وقد أحرق من هؤلاء العلماء ٣٢,٠٠٠ إثنان وثلاثون ألف وهم أحياء منهم العالم الطبيعي (برونو) و (دى رومانس) .

حدث هذا كله فى الوقت الذى أرسل فيه ملك انجلترا (جورج الثانى)رسالة إلى الخليفة (هشام الثالث) يقول فيها بالنص وبالحرف :

من جورج الثانى ملك إنجلترا والغال (فرنسا) والسويد والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام :

بعد التعظيم والتوفير :

فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد التعليم والصناعات فى بلادكم العامرة .

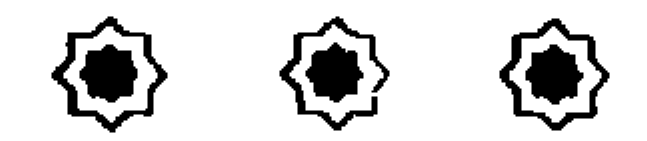
فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتناء أثر منه لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة .. !!

وقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة (دوبانت) على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز لتتشرف بلثم أهداب العرش ، والتماس العطف لتكون مع زميلاتها من بنات أشراف الإنجليز موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة[١] .. إلخ .

من خادمكم

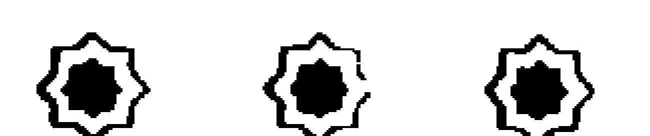
المطيع

جورج الثانى



وهل يعلم القراء أن بريطانيا عرضت نفسها للدخول فى الإسلام فى عهد الملك (جون لاك لاند) "HOHNLACK LAND" كما أكد ذلك المؤرخ البريطانى (جبرائيل رونى فى وثيقة نشرتها منذ حوالى خمشة عشر عامًا صحيفة الصنداى تايمز[٢] . "TAE SUNDAY TIMES"

إن الغرب يستعمل فى حروبه مع الإسلام " أسلحة فاسدة .. ومغشوشة .. ومهمة دعاة الإسلام هى الكشف عن الحقيقة ..



(١) أقرأ فى هذا الموضوع كتابنا (إجابات حاسمة إلى الأخت الفرنسية المسلمة) – صـ ١٧٥ وما بعدها – .

(٢) اقرأ النص فى كتابنا (إجابات حاسمة) .

والآن .. ما العمل .. ؟

أجل .. ما العمل .. هذا هو السؤال الذى يجب أن نبحث له عن إجابة .. وعن .. حل .. وفيما يلى .. تصورى للإجابة عن هذا السؤال .. وعن هذا الحال ..

أولاً : وضع استراتيجية إسلامية شاملة :

إن الواقع الذى تعيشه المنظمات الإسلامية لا يبشر بأى خير انظروا فيما حولكم هنا وهناك فى أى مكان من العالم الإسلامى والعالم غير الإسلامى .

تفرق .. وتمزق .. وخلافات وعداوات .

إن عدد المراكز الإسلامية المنتشرة فى مختلف أرجاء العالم تجاوزت الخمسة آلاف (٥٠٠٠) خمسة آلاف مركز ومنظمة ولكن ما أثر هذه المنظمات والمؤسسات .. لا شىء .

لقد عقد فى العشرين سنة الأخيرة أكثر من " ٥٠٠ " مؤتمر وصدرت قرارات وتوصيات تجاوزت الـ (٢٥٠٠٠) خمسة وعشرين ألف قرار وتوصية ولكن هل نفذ منها شئ أبدًا لم ينفذ أى شئ ... !!!

إن فى العالم الإسلام منظمات كثيرة دولية .

١ – منظمة المؤتمر الإسلامى فى جدة .

٢ – مجمع البحوث الإسلامية فى القاهرة .

٣ – رابطة العالم الإسلامى فى مكة .

٤ – منظمة الدعوة الإسلامية فى الخرطوم .

٥ – منظمة الدعوة الإسلامية فى ماليزيا .

٦ – المؤتمر الإسلامى فى كراتشى .

٧ – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى القاهرة .

٨ – المجلس الأعلى للدعوة والإغاثة فى القاهرة أيضًا .

٩ – جمعية الدعوة الإسلامية فى ليبيا – ما دور هذه المنظمات .. لا شيء .. إلا قليلاً جدًا ...

وفى العالم الإسلامى جامعات إسلامية عريقة ..

قديمة جدًا .. وحديثة جدًا ..

– الأزهر الشريف فى القاهرة ..

– جامعة القروين فى المغرب ..

– جامعة الزيتونة فى تونس ..

– الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة ..

– جامعة أم القرى فى مكه ..

– جامعة الإمام محمد بن سعود فى الرياض ..

- الجامعة الإسلامية فى باكستان ..
- الجامعة الإسلامية فى ماليزيا ..

وفى العالم الإسلامى منظمات دولية أخرى ..

- منظمات تعليمية وثقافية وإعلامية .
- منظمات اقتصادية .

ولكن ما دور هذه المؤسات والمنظمات .. لا شئ إلا قليلاً جدًا ..

توجد كل هذه الجامعات . وكل هذه المنظمات والمؤسسات . التى لم تستطع حتى يومنا هذا صياغة واحدة مشتركة تجمع المسلمين على كلمة . أو توحد صفوفهم تحت راية واحدة . يحدث هذا كله فى العالم الإسلامى .

فى الوقت الذى تشتعل فيه نيرات العصبية بين أتباع المذاهب المختلفة ، والتعصب لطائفة دون طائفة ، أو فرض مذهب معين على مذهب معين ..

لقد حدث هذا كله فى غيبة التنسيق بين أجهزة الدعوة وفى غيبة الإيمان بالأخوة الواحدة ، وفى غيبة الشعور بالخطر الذى يتهدد أبناء الأمة الواحدة ، والقبلة الواحدة ، والمصير الواحد فى

الدنيا والآخرة وإذا نظرنا إلى الجانب الأخر من الصورة أى إذا نظرنا إلى العالم غير الإسلامى فى أوروبا وأفريقيا وآسيا .. فوق فسوف نجد ...

أن هذا العالم يتجه إلى الاتحاد والوحدة فى صورهما المختلفة ..

فى ميدان الاقتصاد : توجد السوق الأوروبية المشتركة .

وفى ميدان السياسة : يوجد البرلمان الأوروبى . وأوروبا الموحدة .

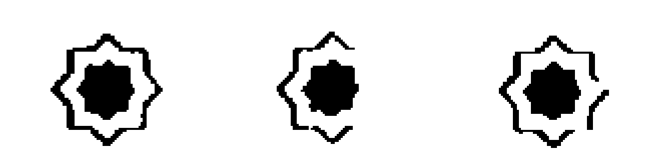
وفى الميدان العقدى والدينى : يوجد تقارب وتفاهم بين الكنائس المسيحية المختلفة ..

كما يوجد تقارب بين المسيحية واليهودية ..

لقد وصف البابا جون بول الثالث .. وصف اليهود أنهم الأخوة الكبار ، وأعلن براءتهم من دم المسيح وأقام صلاة مشتركة بين المسيحيين واليهود . حسب اعتقادهم وزعمهم .

لم يكن هذا التحالف والتقارب بين " الإخوة الأعداء " لغير هدف ..

بل إن الهدف من وراء هذا كله اقتلاع جذور الإسلام والمسلمين فى أى بلد .



يقول الشيخ محمد الغزالى : قال لى صديق : كان هناك خمسة أشخاص يريدون تكوين جمعية ، فقال أحدهم : أنا الرئيس العام .

وقال الثانى : أنا نائب الرئيس العام .

وقال الثالث : أنا الوكيل العام .

وقال الرابع : أنا المراقب العام .

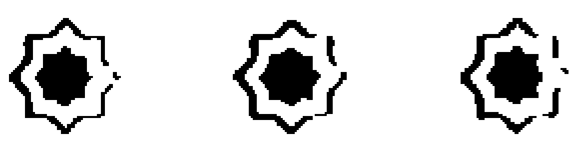
قلت : يجب أن يقول الخامس : وأنا العضو العام !!!

إن فراغ النفس والعقل وراء التطلع إلى الصدارة ، واختلاق مشكلات كثيرة لإشباع رغبة طفولية ..

إننى أنصح المسلمين فى كل بلد أوروبى يعيشون فيه أن يكونوا شكلاً و موضوعًا موضع إعجاب الأمة التى نزلوا بأرضها ، ولن ينالوا هذا الإعجاب إلا إذا كانوا آية باهرة فى تربيتهم وثقافتهم ومسالكهم ، هنالك فقط ينتظرون البقاء والنماء .

إن ما نراه هنا وهناك من تشرذم . وتزعم وتقاطع هو أمل أعداء الإسلام وأقصى ما يتمناه هؤلاء الأعداء .

إن رجلاً مثل (لورانس) "LAWRANCE BROWN" يقول فى أحد كتبه[١] : (إذا اتحد المسلمون فى إمبراطورية أصبحوا لعنة على العالم وخطرًا لذلك لابد من إبقائهم متغرقين قوة .. وعددًا ..) .



(١) الإسلام والإرساليات – ٢ ٤ ٤ .

يقول ربنا عز وجل :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (آل عمران – ١٠٣) .

ويقول جل شأنه :

﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ .

﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحة الله هم فيها خالدون ﴾ ..
(آل عمران ١٠٥ – ١٠٦) .

ويقول ربنا جل شأنه :

﴿ فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التى فطر الناس عليها . لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين منن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ .. (الروم ٣٠ – ٣٢) .

فى هذه الآيات :

أولاً : دعوة إلى الاستقامة . والاستقامة هى الالتزام بشرع الله . ومنهجه ، وشرع الله هو العاصم من كل أسباب الهوى والتفرقة .

ثانيًا : دعوة إلى الفطرة ، وهى الإيمان المستقر فى قلب كل مؤمن بعيدًا عن النزوات والشهوات النفسية التى تفرق ولا تجمع وتبدد ولا توحد .

ثالثًا : دعوة إلى إقامة الصلاة .. والصلاة هى رمز الجماعة المؤمنة المتحدة وعنوان الترابط والتآخى بين الفرد والجماعة ، وبين المجتمع والأمة .

رابعًا : التحذير من أعمال الشرك وعقائده . لأن الشرك يعنى التعدد فى الآلهة ، والتعدد فى التفكير والغاية ، والتعدد فى الأسلوب والوسيلة ، فما دامت الآلهة متعددة فكذلك تتعدد الجماعات والفرق التى تؤمن بهذه الآلهة .

إن كل عمل يجوز فيه الكذب والغش إلا الدعوة إلى الله إنك تستطيع أن تخدع إنسانًا مثلك .. تستطيع أن تخدع بشرًا .. فهل يمكنك أن تخدع الله .

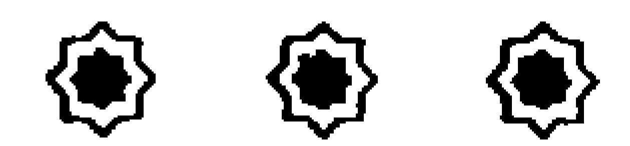
﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ... ﴾ — الآية ...

- لقد اتحدت طوائف النصارى رغم الحروب الدامية ..

- واتحد النصارى واليهود رغم خلافاتهم القاتلة ..

- واتحد الشرق والغرب بعد الحروب الساخنة والباردة ..

أفلا يتحد المسلمون الذين وحد الله بينهم فى العبودية ، وفى الاتجاه إلى قبلة واحدة .. ؟

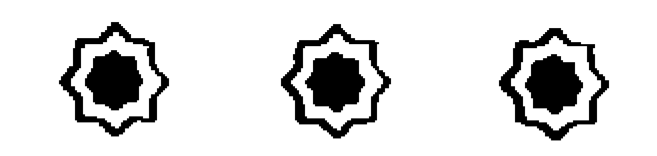


لابد من قيام (استراتيجية) إسلامية شاملة .. لنختلف كما نشاء فى الأمور الفرعية ، وفى الاتجاهات السياسية ولكن لابد من (هدف) يتجه إليه الجميع فى أخاء ومحبة ، وفى ترابط ووحدة .

لقد سألنى أكثر من مستشرق هذا السؤال .. ؟

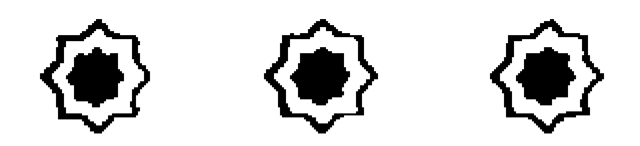
أريد أن أعرف .. كم إسلامًا عندكم أيها المسلمون .. ؟؟

لقد فهمت ما يقصده الرجل .. فهو يحكم على الإسلام من خلال ما يراه من تناقض بين هذه الجماعة وهذه الجماعة ، أو هذه الدولة وهذه الدولة .



أعلم أن هذه القضية .. خطيرة .. وحساسة - وشائكة - كما أعلم أن فى العالم الإسلامى تيارات كثيرة مختلفة .. وأعلم أن هناك بدعًا وخرافات شائعة .

ولكن .. هل يصعب أن نتفق على هدف مشترك .. ؟ إننى لا أطالب بالموافقة على ما هو قائم من خطأ .. ولكنى أعلم أن التقارب وحسن الظن طريقان ميسران للداعية المخلص وأن التقارب وحسن الظن يصلحان ما فسد بالكملة الطيبة ، وبالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .



لقد سبق أن قمت برحلة إلى شرق أفريقيا . تنجانيقا . وكينيا ، وأوغندا و وزنجبار .

لقد فوجئت بصورة بشعة من الطوائف والمذاهب ، والملل والنحل ، شيعة وسنة وإباضية . عرب ، وهنود . وباكستانيون وكان لكل طائفة مسجد ، بل كان لكل مذهب مسجد لا يدخله أتباع مذهب آخر .

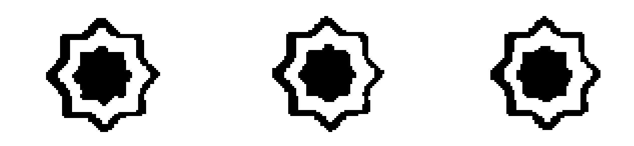
فأعلنت أننى جئت إلى هنا لكل من يؤمن بالله ربًا وبمحمد نبيًا ورسولاً وبالقرآن هاديًا ومرشدًا ..

قلت هذا فى الصحف . وأعلنته فى الإذاعة .

فلم يتخلف عن محاضراتى أحد . وفى هـذه اللقـاءات قدمـت الإسلام كما يؤمن به كل مسلم صحيح العقيدة . وكان من نتيجة ذلك قيام جمعيـة لمسـلمى شـرق أفريقيـا تسـتهدف الدعـوة إلـى الإسلام على هدى وبصيرة .

لقد حدث هذا فى نهاية الخمسينيات . وفى الوقت الذى كان فيه الاستعمار مسيطرًا على هذه الدول والولايات .

لابد من (هدف) عام يتفق عليه كـل المسـلمين . وفـى بـلاد كأوروبا يصـبح تحقيق هـذا الهـدف أمـرًا مقدسًـا واجـب التنفيـذ على الفور .



فلنستمع إلى هذا الخبر القادم من الولايات المتحدة :

منذ سنوات أمرت قوات الأمن بإغلاق المسجد الرئيسى فـى (واشنطن) فلماذا أمرت قوات الأمـن بـإغلاق هـذا المسـجد[١] . الأن القوم هناك يضنون بحرية التبليغ على أتباع الإسلام ؟ كـلا ، فحرية الدعوة مكفولة .. لكن الذى حدث أن المسلمين من رواد المسجد إنقسموا على أنفسهم انقسامًا شائنا ، ووقعت بينهم فتن عكـرت صفـو الأمـن فـرأت الدولـة أن تسـتريح مـن هـذا الشغب .. !!!

(١) الإسلام خارج وطنه – الشيخ محمد الغزالى –.

ترى ماذا قسم المسلمين هناك ، وأفسد ذات بينهم ، وانتهى بإغلاق مسجدهم ؟

قالوا : نزاع بين أتباع السلف وأتباع الخلف تفاقم حتى أوقد حربًا لا تؤمن عقباها !!

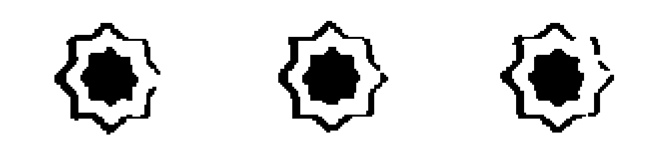
وتصورت أنا ما حدث ، يصلى أمام شافعي المذهب فيجهر بالبسملة ، ويقنت فى الفجر ، فيقول له مأموم من السلف : الجهر بالبسملة لم يرد ، والقنوت في الفجر بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .. !!

ثم يحاول هو ومؤيدوه أن يصلوا على مذهبهم هم ، وهنا يتشابكون ويكون النزاع بالأيدى ويخاف نصارى واشنطن أن يتحول إلى تشابك بالنعال أو بالنصال فيغلقوا المسجد !!!

وربما كان الخلاف : هل يجهر بختم الصلاة أو يسر ؟

هل تقرأ سورة الكهف قبل الصلاة أو سورة أخرى أم لا قراءة البتة ؟

وهذه الخلافات الهائلة يمكن تصعيدها إلى مجلس الأمن ، ولكن من يدرى !! ربما استعمل الروس حق الاعتراض " الفيتو " فخذلوا السلف ، أو هزموا الخلف !! .

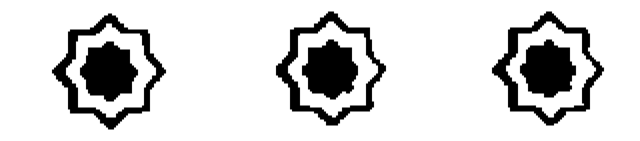


ثانياً : القدوة الطيبة :

إن حال رجل واحد فى قوم أفضل من علم ألف واحد بين هؤلاء القوم .

هذا معنى حديث منسوب إلى النبى (ﷺ) .. فالناس ترى من الإنسان أولاً عمله وسلوكه .

فإن خالف قوله عملة فتح على نفسه وعلى الناس أبواب الشر وعرض نفسه وغيره لفتن تسئ إلى الدين وتصرف الناس عنه .



هناك .. قصص كثيرة محزنة . وقصص كثيرة جميلة . وطيبة ...

ففى مدينة (سيدنى) "SYDNEY" فى استراليا جاءت إلى سيدة تشغل منصبًا حساسًا فى وزارة الخارجية .

قالت السيدة :

اسمى (سارة) وأعمل فى وزارة الخارجية . كنت مسيحية . وذات يوم التقيت بشاب مسلم أعجبنى فيه خلقه . وقامت بيننا ألفة عميقة شجعتنى على سؤاله . عن دينه وعقيدته فانطلق



يحدثنى فى حماس زائد عن هذا الدين .. كنت فى قمة السعادة حين علمت منه أن الإسلام يحرم الفواحش والربا والقمار والخمر ، ويقوم مجتمعه على منظومة كاملة للأخلاق والفضائل والخير ..

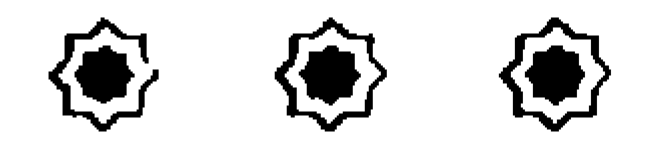
لم أتردد فى اعتناق الإسلام .. وقد عانيت من أسرتى بسبب ذلك متاعب كثيرة . وأصبح ينظر إلى فى عملى كأننى منبوذة .. لم أبال بهذا كله .. وبخاصة بعد أن فسخت خطبتى من قريب لى وتزوجت هذا الشاب المسلم .

ومرت أشهر .. وفجأة رأيت زوجى الذى تركت دينى وأسرتى وخطيبى من أجله وبسببه ، رأيته يلعب فى ناد للقمار ، وقد أمسك بيده كأسًا من الخمر لا تتصور مشاعرى حين رأيته ، لقد تمنيت الموت لأستريح من هول هذه الصدمة ..

وبعد عودته إلى البيت لم ينكر فعلته بل حاول ترضيتى بأساليب رخيصة زادتنى مقتًا ونفورًا منه ..

فابتعدت عنه واقفة . ثم صرخت فى وجهه قائلة .

سأعود إلى ما كنت عليه سابقًا . وسأرفع قضية طلاقى منك عاجلاً ..

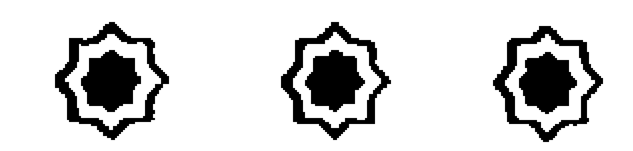


قصة أخرى لأستاذ جامعى فرنسى ..

لقد أسلم عن طريق القراءة المجردة للإسلام .

.. ثم رأى أن يغادر وطنه ليعيش بين إخوانه فى الدين والعقيدة ولم تكد قدمه تطأ أول بلد زاره حتى قفل راجعًا إلى فرنسا مرة ثانية ..

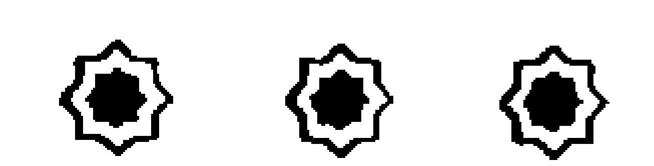
وحين سئل من صديق مقرب إليه عن سبب عودته ورجوعه عن قراره قال : الحمد لله الذى جعلنى مسلمًا قبل أن أرى من المسلمين ..... أحدًا ..... أو أزور لهم بلدًا ... !!



إن السبب الأول فى إسلام المفكر الفرنسى (رجاء جارودى) يرجع إلى حادثة وقعت له فى معسكر الاعتقال أثناء الحرب العالمية الثانية .

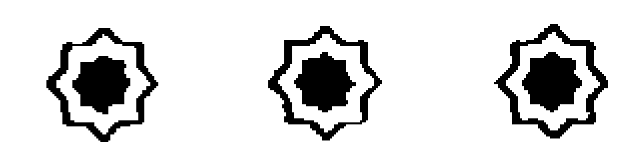
فقد تزعم " جارودى " حركة إضراب فى هذا المعتقل ، فحوكم محاكمة عسكرية حكم عليه فيها بالموت ..

كان هذا المعسكر فى الجزائر .. وحين أمر القائد الفرنسى بإطلاق الرصاص على رأسه رفض الجنود الجزائريون تنفيذ هذا الأمر .. لأن الإسلام كما قال هؤلاء الجنود المسلمون يحرم قتل الأسير مهما ارتكب من مخالفة أو جرم ..



وقد حضرت إلي ذات مرة سيدة ألمانية تريد أن تسلم ..

وحين سألتها عن السبب فى تغيير دينها واعتناقها الإسلام حدثتنى عن معاملة جيرانها المسلمين لها معاملة لم تر مثلها من الأب والأم .. لأن نبى الإسلام كما أخبرها الجيران يوصى وصية خاصة بإكرام الجار والضيف ..



وفى بريطانيا .. كنت أقيم مع أسرة إنجليزية فى مدينة (كمبردج) "CAMRIDGE" .. بعد مرور خمسة عشر يومًا فوجئت بالسيدة (مارى) "MARY" صاحبة البيت تدعونى لتناول فنجان شاى مع أسرتها فى يوم أحد .. وفجأة قالت السيدة " مارى " موجهة حديثها إلى :

أريد أن أعتذر إليك .. ثم أردفت قائلة :

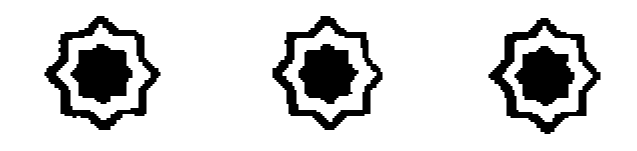
لقد وضعتك تحت المراقبة خمسة عشر يومًا لأرى ما تفعل داخل البيت .. كنت أتعمد دخول الحمام بعد أن تخرج منه . وحين تخرج للدراسة كنت أذهب إلى حجرتك . فأراها مرتبة دون حاجة إلى .. وكنت أبحث عن القمامة فأكتشف أنك حملتها إلى الصندوق الخاص أمام البيت ، لقد فوجئت بنموذج خاص من النزلاء لم أتعود رؤيته فى هذا البيت . وبالرغم من

وجود نزلاء معك من سويسرا وألمانيا وإيطاليا كنت الوحيد الذى لم ألاحظ عليه أى شيء قط .. غير أن لى سؤالاً يحيرنى منك ..

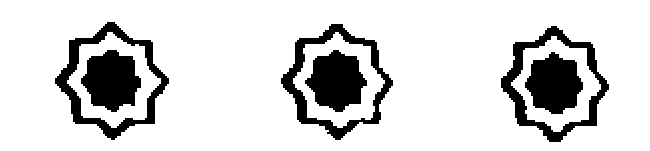
ففى الساعة الخامسة صباحًا أرى حجرتك مضاءة وأسمع دبيب أقدامك فى الحجرة . فماذا تفعل فى هذه الساعة المبكرة؟

قلت .. لأبدد حيرتها عن هذه اليقظة المبكرة ..

إن يوم المسلم يبدأ مع صلاة الفجر .. وهى أول صلاة يؤديها المسلم صباح كل يوم . إن هذا وقت تقسم فيه الأرزاق كما قال النبى ...



لقد بدأت السيدة " مارى " تقرأ عن الإسلام . وفى إحدى زياراتى لها بعد عامين رأيتها وهى تقرأ القرآن ... !!



وقد سئل الطبيب الألمانى المسلم كريم عبد الله المقيم فى " فرانكفورت " .. ما العقبات التى تحول بين الإسلام وبين شعوب الغرب .. ؟

فأجاب الطبيب الغيور المسلم ..

هناك عقبتان ..

أولاً: حال الأمة الإسلامية وواقعها المثير للأسف والحزن ..

ثانيا: سلوك المسلمين الذين يسافرون إلى بلاد الغرب ، وما يصاحب هذا السلوك من فجور وفسق ..

أما العائق الأول : فلا يحتاج إلى أمثلة .

وأما العائق الثاني : فأضرب لك مثلاً واحدًا من مئات الأمثلة .. فى عام ١٩٨٢ - بذلنا جهدًا شديدًا حتى حصلنا على موافقة بإنشاء مركز إسلامى ضخم . وقمنا بتقديم التصميمات التى تكلفت وحدها مليون مارك ..

وبعد ذلك استطعنا جمع أكثر من خمسة ملايين مارك .. ثم شرعنا لإتمام البناء على الفور . وفجأة . اختفى أمين الصندوق ومعه خمسة ملايين مارك . وتوقف البناء فى المركز إلى هذا الوقت ..

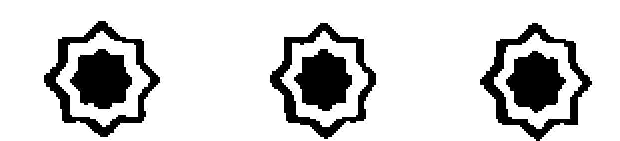
فماذا يقول الألمان عندما يسمعون بهذه الجريمة التى ارتكبها مسلم سئ الخلق والسلوك إلى هذا الحد ؟!!

ويقول الدكتور كريم عبد الله ...

لقد صدمت فى أشخاص يتمتعون بشهرة واسعة ، غير أنهم فى واقع الأمر وحقيقته لا يمتون إلى الإسلام بأية صلة . وأكثر الناس

- للإسلام عداوة - لا يمكن أن ينال من الإسلام كما تنال منه أفعال هذه الطائفة .. !!

إن الإسلام دعوة . والدعوة لابد لها من داعية . وهذا الداعية إن لم يكن أسوة وكان فى حياته قدوة . فقد الناس ثقتهم فيه ، وانقلب حالهم إلى أسوأ ما كانوا عليه .. !!



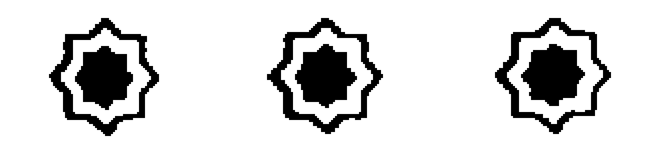
إن من أخلاق المسلم كما يقول الإمام أبو الحسن البصرى :

إيمانًا فى يقين ، وعلمًا فى حلم ، وحلمًا بعلم ، وكيسًا فى رفق ، وتحملاً فى فاقة ، وقصدا فى غنى ، وشفقة فى نفقة ، ورحمة لمجهود ، وعطاء فى الحقوق ، وإنصافًا فى الاستقامة ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فى مساعدة من يحب ، لا يهمز ولا يغمز ولا يلمز ، ولا يلغو ، ولا يلهو ولا يلعب ، ولا يمشى بالنميمة ، ولا يتبع ما ليس له ، ولا يجحد الحق الذى عليه ، ولا يتجاوز فى العذر ، ولا يشمت بالفجيعة إن حلت بغيره ، ولا يسر بالمعصية إذا نزلت بسواه .

المؤمن فى الصلاة خاشع ، وإلى الركوع مسارع ، قوله شفاء ، وصبره تقى ، وسكوته فكرة ، ونظرة عبرة ، يخالط العلماء ليعلم ، ويسكت بينهم ليسلم ، ويتكلم ليغنم ، إن أحسن

استبشر ، وإن أساء استغفر ، وإن عتب استعتب ، وإن سبقه عليه حلم ، وأن ظلم صبر ، وإن جير عليه عدل ، ولا يتعوذ بغير الله ، ولا يستعين إلا بالله ، وقور فى الملأ ، شكور فى الخلاء ، قانع بالرزق ، حامد على الرخاء ، صابر على البلاء ، إن جلس مع الذاكرين كتب مع المستغفرين .

هكذا كان أصحاب النبى ﷺ ، الأول فالأول ، حتى لحقوا بالله عز وجل وهكذا كان المسلمون من سلفكم الصالح ، وإنما غير بكم لما غيرتم ، ثم تلا ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال ﴾[1]



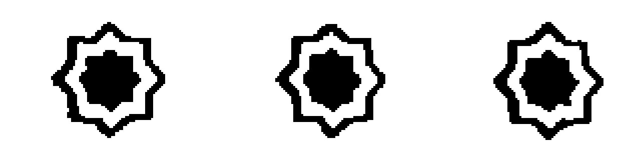
ويرى الإمام الغزالى أن التبعة الكبرى فى هذا الفساد الشامل والضعف فى الدين والانحلال فى الأخلاق ، تقع على العلماء ، وهم السبب الأول فى فساد هذه الأوضاع ، لأنهم ملح الأمة ، وإذا فسد الملح فما الذى يصلحه[2] ؟

---

(١) الحسن البصرى لابن الجوزى : ص ٦٩ ، ٧٠ .
ورجال الفكر والدعوة فى الإسلام للعلامة الندوى – ص ٧٣ .

(٢) إحياء علوم الدين – جـ ١ ص ٥٤ . وكتاب :
رجال الفكر والدعوة للعلامة الندوى ص ٢٢٨ .

(فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وقد شغر منهم الزمان ، ولم يبق إلا المتمرسون ، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان ، واستغواهم الطغيان ، وأصبح كل واحد يعاجل حظه مشغوفًا ، فصار يرى المعروف منكرًا والمنكر معروفًا ، حتى ظل علم الدين مندرسًا ، ومنار الهدى فى منطقة الأرض منطمسًا)[1] .



ثالثًا : تأهيل الدعاة تأهيلاً علميًا شاملاً :

إننى أتكلم فى هذا الموضوع من واقع مسئولية سابقة .. ومن خلال خبرة وتجربة طويلة ...

لقد شغلت منصب الأمين العام للدعوة لمدة خمس سنوات كاملة ومن خلال متابعتى لأحوال الدعاة شعرت بغصة وحسرة ..

وماذا يمكن أن يقال عن مبعوث لا يعرف الفرق بين الشيعة والشيوعية .. !!أو بين أسيا وأفريقيا .. ؟

إن الصورة كئيبة .. والواقع المر يحتاج إلى مواجهة حاسمة لتغييره وتصحيحه ..

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام للعلامة أبو الحسن الندوى ص ٢٢٦ .

وقد تناول الشيخ الغزالي بقلمه عرض وتحليل هذه القضية[(١)]. وفيما يلي أنقل ما قاله في تحليل وتعليل هذه الظاهرة ..

(... نظرت بعيدًا عن دار الإسلام ، وراقبت زحام الفلسفات والملل التي تتنافس على امتلاك زمام العالم .. فوجدت الإعلاميين أو الدعاة يختارون من أوسع الناس فكرًا ، وأرقهم خلقًا ..

فلما رجعت بصري إلى ميدان الدعوة في أرض الإسلام غاص قلبي من الكآبة .. !!

كأنما يختار الدعاة وفق مواصفات تعكر صفو الإسلام . وتطيح بحاضره ومستقبله .. وما أنكر أن هناك رجالاً في معادنهم نفاسة ، وفي مسالكهم عقل ونبل .. بيد أن ندرتهم لا تحل أزمة الدعاة التي تشتد يومًا بعد يوم .

والغريب أن الجهود مبذولة لمطاردة الدعاة الصادقين ، من العلماء الأصلاء . والفقهاء الحكماء .. للقضاء عليهم ، وترك المجال للبوم والغرباء من الأميين والجهلة والسطحيين يتصدون للدعوة ويتحدثون باسم الإسلام ..

---

(١) ضؤ على تفكيرنا الديني – الشيخ محمد الغزالي – ص ٣٧ وما بعدها – دار الاعتصام – القاهرة .

تصور تلميذًا يقال له : ارسم خريطة لجزيرة العرب ، ووضح مكان الحرمين بها .. فإذا هو يرسم الخريطة وليس بها إلا الربع الخالى ..

فإذا سألته وأين مكان الحرمين ؟ وضع نقاطًا بين تبوك والأردن ! .. أو تلميذًا يقال له : ارسم خريطة لنهر النيل .. فإذا هو يجعل فرعى الدلتا يبدءان من الخرطوم لا من القناطر الخيرية ..

إن كلا التلميذين ساقط لا محالة فى هذا الاختبار ..

فما الرأى إذا اختير كلاهما مدرسًا للجغرافيا ؟ !!

أعداد غفيرة من المتحدثين فى الدعوة يشبهون هذا المدرس الجهول ..

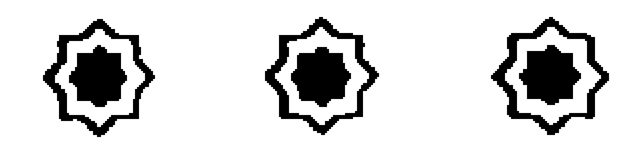
قضايا صغيرة تتضخم فى رؤوسهم .. وقضايا تستخفى وحماس فى موضع البرود ، وبرود فى موضع الحماس ، وأحاديث ضعيفة أو منكرة تصحح ، وصحيحة تضعف وترد .

كنا ضيوفًا عند أحد الناس .. فسكب فى يدى قطرات من ماء الكلونيا .. فإذا أحد الدعاة يصرخ : حرام ! نجس !

فقلت له : دعنى وربى ، إن مالكًا رضى الله تعالى عنه يرى ريق الكلب وعرقة طاهرين .. ويراهما غيره نجسين ..

فلنتعاون فيما اتفقنا عليه.. ويعذر بعضًا بعضًا فيما اختلفنا فيه .

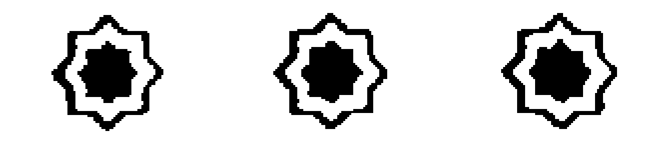
فقال : اليد التى بها (كولونيا) نجسة ، وتحرم مصافحتها ! وعلمت أنى أحدث من لا يستحق المحادثة ..



ورأيت طالبًا فى القاهرة يريد أن يدخل كلية الطب بجلباب وقلنسوة .. وسألته : لم هذا الشذوذ ؟

قال : لأ أتشبه بالكفار فى ارتداء البدلة الفرنجية ..

قلت .. التشبه الممنوع يكمن فى انحلال الشخصية ، وإعلان التبعية النفسية الفكرية لغيرنا . ولقد لبس الرسول ﷺ جبة رومية كانت ضيقة الأكمام .. فلما أراد الوضؤ أخرج ذراعيه أسفل .. ولكن الطالب الأحمق أبى وترك الدراسة الجامعية ..



وكنا يومًا فى حفل جامع وكنت ألقى محاضرات " ذات بال " فى موضوع خطير ..

ورأى أحد الصحافيين التقاط صورة للجمع الحاشد .. ولكن الداعية نهض يمنع التصوير .. فلما أصر الصحافى على المضى فى عمله اتجه الداعى إلى الآلة ليكسرها ..

وجاءنى الواعظ الغيور يسألنى : لماذا لم تمنع التصوير ؟ قلت : لأنى أراه مباحًا !

قال : ألم يقل الرسول ﷺ : (إن أشد الناس عذابًا المصورون) .. ؟

قلت : أنه يعنى صانعى التماثيل للعبادة .. ولا يتصور أن يكون هذا الصحافى أشد عذابًا من الزناة والقتلة والمرابين الظلمة ..

قال : الحديث عام فلماذا تخصصه ؟

قلت : خصصه الواقع الذى لا يمكن تجاهله .. فالوثنيون كانوا يعبدون أصنامًا مجسمة ولم يعبدوا صورًا شمسية .. وعندما تكون الصورة الشمسية لصنم أو لصليب أو لمعنى دينى مرفوض فسنحرمها ..

أما التقاط الصوت فى شريط مسجل .. أو التقاط الظل والملامح على ورقة لأغراض علمية أو اجتماعية فلا علاقة له بالوثنية ، ولا يحكم عليه بتحريم .. بل هو كما نبه مسلم فى صحيحه ليس (إلا رقمًا فى ثوب) .

قال : هذا الكلام مردود ، ومحاضرتك عن الوحدة الإسلامية ، وعن التناحر بين المسلمين لا تقبل .. مادامت مقرونة بإقرار التصوير .. !!

وشعرت بالضيق .. ثم كظمت غيظى ورفضت مواصلة النقاش ..

۞ ۞ ۞

وأحيا آخرون السنة النبوية بالأكل على الأرض ، واستخدام الأيدى ، رافضين الأكل على الموائد ، واستعمال الشوك والملاعق ..

قلت : من قال : إن الأكل على المائدة ، أو استخدام الملاعق مخالف للسنة ؟

۞ ۞ ۞

إن فهم هؤلاء الناس للدين غريب ، وإثارة هذه القضايا دون غيرها من أساسيات الإسلام مرض عقلى .. إنه ضرب من الخيال ..

إن المؤامرات تستحكم يومًا بعد يوم لاغتيال الإسلام أو الإجهاز عليه جهرة .. فكيف يشتغل قوم بهذه السنن فقط ثم يتساهلون فى الواجبات وعظائم الأمور ؟ !!

رأيت يومًا رجلاً حليق الشارب والرأس بالموسى . وله لحية مشوشة وغير مهذبة فساورنى خاطر أنه قادم من عمرة ، واحترمت فى نفسى هذا الظاهر الموقوت ..

ولكنى أعدت النظر فى هيئة فوجدتـه مكحـل العينيـن ، وثوبـه إلى نصف الساق أو أعلى ..

فقلت : هذا رجل من المنتسـبين إلـى الديـن والحديـث فيـه ، وهو بهذا يرى أنه جمع المجد من أطرافه كلها .

ورمقته ثم تشاغلت عنه .. ولكنه جاءنى يسألنى بـأدب : أنـت فلان ؟

قلت : نعم .

قال : قرأت رسالة وزعت علينا تصفك بـأنك تهـاجم السـنة ! وأنك مع الشيخ " أبى رية " فى تكذيب الأحاديث .. !!

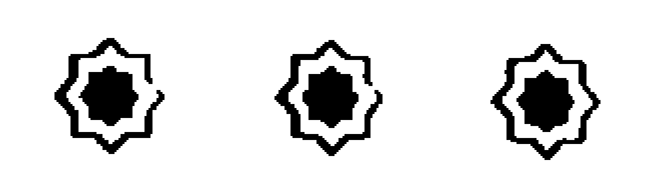
قلت فى سكون : وقعت هذه الرسالة فى يدى .. !!

قال : ما رأيك فى هذه التهم ؟

قلت : ما رأيك أنت ؟ هل قرأت لى كتابًا ؟

قال : نعم : قرأت كتابك " خلق المسلم " ..

قلت : فى هذا الكتاب وحده أكثر من ألف حديث عن النبى ، وفى فقه السيرة وكتابين آخرين نحـو ألفـى حديـث . فـإذا أثبـت رجـل فـى عُشـر مؤلفاتـه نحو ثلاثـة آلاف حديـث فكيـف يتهـم بتكذيب السنة ؟



فى تقرير رسمى أرسل من هنا - أى من لندن - قبل خمسة وعشرين عامًا .. والتقرير لا يزال مدفونًا فى أحد أدراج إدارة الأزهر وكاتب التقرير لا يزال حتى يومنا هذا حيًا يرزق ..

يقول التقرير :

فى كل عام يقام حفل تحضره الملكة يدعى إليه ممثلو الأديان فى المملكة المتحدة ..

وبداهة .. فلا بد أن يكون ممثل كل دين من خيرة علماء هذا الدين وأكثرهم علمًا وثقافة ..

حاخامات .. وأساقفة .. وكرادلة .. على أعلى مستوى من العلم والفهم . والدراسة ..

أتدرون من الذى مثل الإسلام فى هذا الحفل الذى تحضره الملكة ..؟

ويشترك فيه علماء كل دين وملة .. ؟ !!

أكتموا أنفاسكم وتجلدوا قبل أن تتعرفوا على هذه الكارثة..!!

يقول التقرير :

لقد أختير طالب لتمثيل الإسلام والمسلمين فى هذه المناسبة التى تحضرها الملكة .. !!

طالب يحمل الشهادة الثانوية ، ولا صلة له بالعلوم الدينية . يمثل أكثر من ألف ومائتى مليون مسلم أمام الحاخامات والأساقفة .. والملكة .. !!

يقول التقرير :

وكي يبدو الطالب في صورة دينية ألبسوه عمامة وجبة وحتى يبدو وكأن هناك شيخًا تحت " القبة " .. !!

وكانت فضيحة للإسلام والمسلمين فى لندن وأوربا .. وللأمانة . ومنعًا للحرج لدى بعض أجهزة الدعوة .. فقد حدث هذا فى عام ألف وتسعمائة وسبعين ميلادية ..

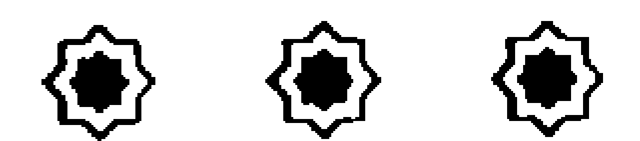
هل سمعتم بالراهبة (تريزا) التى حصلت على جائزة نوبل ..؟

راهبة عاشت فى الهند أربعين سنة .. أسست فيها مدارس وكنائس ومستشفيات وملاجئ . هذه العجوز وحدها استطاعت بناء امبراطورية خاصة بمفردها ..

امرأة يعمل تحت إمرتها الألوف من الرجال والنساء ، وتدير المئات من المؤسسات . لم تتحدث إلى أحد عن نفسها .. ولم تفرض زعامة على غيرها وحين سئلت عن السر فى نجاحها ..

لم تذكر كلمة (أنا) على لسانها بل قالت :

لم يكن لى فضل فى أى عمل .. بل كنت شريكة متواضعة لهؤلاء الناس الطيبين فى نجاح هذا العمل .. !!



منذ خمس سنوات .. وقبل أن أترك عملى كأمين عام للدعوة تقدمت بمشروع إلى مشيخة الأزهر ..

فى مسودة هذا المشروع قلت :

لابد من عودة معهد الإعداد والتوجيه الذى كان قائمًا فى الأزهر فى أوائل الستينيات ..

صحيح أن هذا المعهد كان متخصصًا فى تعليم اللغات الأجنبية فقط .

غير أن المشروع الذى تقدمت به يختلف عن مشروع المعهد الأول فى المنهج .. وفى التركيز على هذه النقاط الحيوية المهمة :

(أ) تقسيم العالم إلى قارات .. وتقسيم القارات إلى مناطق ولا يخرج مبعوث للعمل فى أية منطقة أو قارة إلا بعد النجاح فى المواد الآتية :

(ب) اللغة التى يتحدث الناس بها فى كل منطقة ..

(جـ) دراسة المشكلات الخاصة فى كل منطقة أو قارة . وتقديم الحلول المناسبة لكل مشكلة .

(د) دراسة البدع والخرافات الشائعة فى كل منطقة أو قارة وموقف الإسلام من هذه البدع والخرافات وبخاصة ما يتعارض منها مع الدين والعقيدة و (الإلمام بتاريخ وجغرافية كل منطقة أو قارة) .

(و) أن يجتاز المبعوث امتحانًا حقيقيًا فى علوم الدين واللغة وفى التاريخ الإسلامى والسيرة ، وفى علوم القرآن والسنة .

(ز) أن يجتاز المبعوث الامتحان الخاص بالحضارة الإسلامية ، وأثرها فى نهضة أوروبا الحديثة .

(ح) أن يجتاز المبعوث الامتحان الخاص فى علم مقارنة الأديان والنحل والمذاهب الهدامة .

(ط) أن يجتاز المبعوث الامتحان الخاص بالحركة التنصيرية ، والشبهات التى يثيرها أعداء الإسلام بالنسبة لقضايا الإنسان والحرية .

(ى) تدريب المبعوث على الخطابة ، ودراسة فن الإلقاء والمحاضرة .

(ك) يقتصر اختيار المبعوثين على المتخرجين فى هذا المعهد بعد أداء الامتحان فى القدرة والكفاءة .

ولا يزال هذا المشروع – حتى يومنا هذا حلمًا – ينتظر التنفيذ من أية دولة إسلامية غيورة ومقتدرة .. !!

فى عهد السلطان سليمان القانونى أعلن عن وظيفة إمام مسجد خالية .

أتدرون ماذا كانت الشروط المطلوبة فى اختيار المرشح .. ؟

– أن يجيد اللغة العربية ، والتركية ، والفارسية ، واللاتينية .

– أن يكون دارسًا وفاهمًا ، للقرآن الكريم ، والإنجيل ، والتوراة .

– أن يكون عالمًا فى الشريعة والفقه والسيرة النبوية وتاريخ الإسلام .

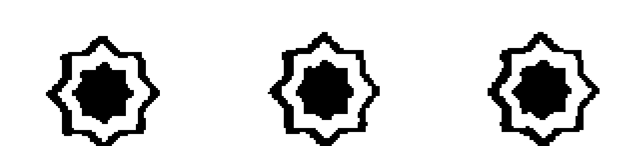
– أن يكون عالمًا فى الرياضة والطبيعة .

– أن يجيد ركوب الخيل والمبارزة بالسيف للجهاد .

أن يكون حسن المظهر .

- أن يكون جميل الصوت .

قبل هذا وبعده أن يكون قدوة حسنة ، وأسوة صالحة .. هذه هى الشروط المطلوب توافرها فى الداعية كما جاء ذلك فى الإعلان التركى قبل أربع مائة سنة .. !!



يقول الدكتور عبد الحليم محمود(١) :

زارنى أحد الأساتذة الأمريكيين . فأخذته إلى الجامع الأزهر وبينما نحن نتنقل من رواق إلى آخر سألنى هذا الأمريكى عن " لجنة الفتوى " - فحدثت هذا الأمريكى عن لجنة الفتوى ورسالتها فرغبة فى زيارتها والتعرف على أعضائها ..

دخلنا القاعة فكان فيها المرحوم الشيخ عبد المجيد(٢) سليم والمرحوم الشيخ محمد العنانى وبعد التعارف والتحية خاطب العالم الأمريكى فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم قائلاً :

إن الغرب الآن فى حالة روحية قلقة ومن الممكن أن يتجه إلى الإسلام ولكن من المحتمل أن يتجه إلى صوفية الهند فهل أعد الأزهر عدته لتوجيه الغرب نحو الإسلام ؟

---

(١) أوروبا والإسلام . الدكتور عبد الحليم محمود - ص ٢١٨ . (وأنظر فى ذلك أيضًا: كتابنا " حتى لا نخدع " ص ٢٣٨ .

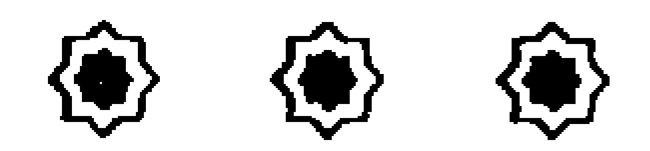
(٢) شيخ الأزهر سابقًا .

وكان السؤال مفاجئًا أو مربكًا . ولكن فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم أجاب فى أسلوب دبلوماسى لبق :

إننا بصدد الدراسة والبحث ..

وجعلنى سؤال هذا العالم أعود من جديد إلى التفكير فى موضوع الغرب والإسلام وصرفتنى الشواغل من جديد إلى أن وقع فى يدى كتاب (إيقاظ الغرب للإسلام) تأليف اللورد هيدلى فقرأت فيه :

كيف يمكن للإسلام أن (يتغرب) أى يصبح غربيًا أو بعبارة أخرى - الكلام لا يزال للورد هيدلى - كيف يمكننا نحن الأوروبيين أن نعود أنفسنا لنفقه معنى الإسلام الحقيقى . إننى أعتقد أن هناك آلافًا من الرجال والنساء أيضًا مسلمون قلبًا . ولكن خوف الانتقاد والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشىء عن الدخول فى الإسلام يخفى هذه الحقيقة التى لابد يومًا أن تظهر ..



لقد وقف الأستاذ T.B. ARVENG (تى . بى . أرفنج) فى جامعة (تنسى) " TEMECY " الأمريكية . وقف يخاطب المسلمين فى مدينة (جلاسجو) ببريطانيا منذ سنوات .

فماذا قال البروفسور (إيرفنج) ؟

لقد قال :

إنكم – أيها المسلمون – لن تستطيعوا – أن تنافسوا الدول الكبرى علميًا . أو اقتصاديًا – أو عسكريًا . فى الوقت الحاضر على الأقل .

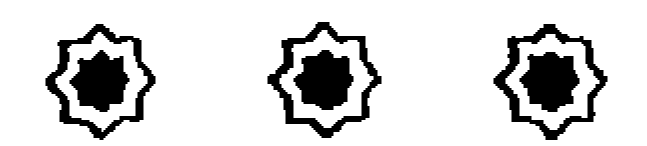
ولكنكم تسطيعون أن تجعلوا هذه الدول تجثو على ركبها أمامكم بالإسلام .. !!

أفيقوا من غفلتكم لقيمة هذا النور الذى تحملون .. والذى يتعطش إليه كل الناس فى مختلف جنبات الأرض .

تعلموا الإسلام وطبقوه .. وأحملوه لغيركم من البشر تتفتح أمامكم الدنيا . ويدين لكم كل ذى سلطان ..

أعطونى أربعين شابًا ممن يفهمون هذا الدين فهمًا عميقًا .

ويطبقونه على حياتهم تطبيقًا عميقًا ويحسنون عرضه على الناس بأسلوب العصر وأنا أفتح بهم الأمريكتين[١] .. !!

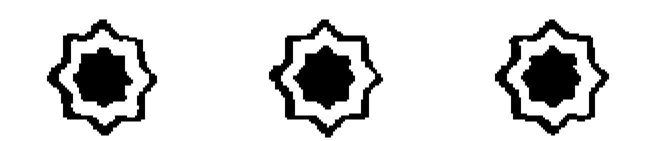


إن أوربا كما يقول العلاقة الدكتور محمد إقبال : تنتحر .. والروح تموت عطشًا فى سرابها الخادع ..

فيها حضارة .. نعم .. ولكنها حضارة تحتضر .. وإن لم تمت حتف أنفها فلسوف تنتحر غدًا وتذهب . فأساس هذه الحضارة منهار لا يحتمل صدمة ..

وأنت أيها المسلم فارس الأمل . والمستقبل[٢] .. ولكن . كيف .

هذا هو السؤال الذى التقينا من أجل الإجابة عليه فى هذا المؤتمر .. !!



---

(١) دكتور زغلول النجار . قضية التخلف العلمى فى العالم الإسلامى المعاصر ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، كتابة الأمة .

(٢) روائع إقبال : العلاقة الندوى .

المسئولون فى الأزهر يعلنون من وقت لآخر عن وجود خمسة آلاف داعية[1] ومبعوث منتشرين فى أنحاء الأرض .. وفى قارات الدنيا الخمس أو الست ! .

وفى هذا الكلام .. شطط .. وافتراء على الحقيقة التى لا صلة لها بهذا الرقم أو هذا العدد !

إنه كلام يقال للدعاية .. والدعاية غير (الدعوة) .. الدعوة حقيقة مجردة .. أما (الدعاية) فأقوال مرسلة .. وأخبار وحكايات غير موثقة ولا مؤكدة !

العدد الحقيقى ثلاثة آلاف .. وليس خمسة آلاف .. ثلاثة آلاف ما بين مبعوث ومتعاقد .. والمتعاقدون هم الأغلبية العظمى فى هذا الرقم أو هذا العدد وهؤلاء المتعاقدون سافروا إلى البلاد العربية .. لا لنشر الدعوة بل لتحسين أحوالهم البائسة .. والخروج من عنق الزجاجة الذى يعيش فيه معظم موظفى الحكومة ! .

أما الباقون فيعملون مدرسين لمبادئ الدين[2] ومبادئ اللغة ، وفى بلاد مسلمة لا تعرف من اللغة العربية كلمة .. وحال هؤلاء

---

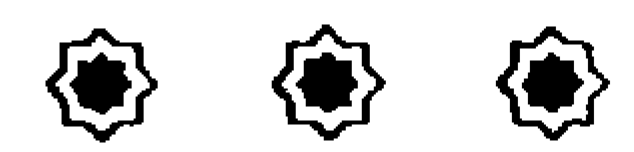
(١) أنظر كتابنا " الأزهر إلى أين ؟ " فصل الدعوة والدعاة .

(٢) أنظر كتاب " أوروبا والإسلام " د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق .

كحال من سبقهم .. أى الخروج من النفق المظلم .. ! وعقد (هدنة) مع الفقر المدقع !!

لا يوجد دعاة ولا دعوة .. وكيف يكون داعية من يذهب إلى قوم لا يعرف لغتهم كما لا يعرفون لغته ؟

وفى بلاد العرب نادرًا ما يسمح لأحد من هؤلاء المتعاقدين بالخطابة والويل كل الويل لمن يتعرض لآفات المجتمع .. وعاهاته !!



عندما رشحت للعمل فى إحدى " دويلات " الخليج حضر إلى القاهرة وكيل الوزارة المختص للتعاقد .. فجأة اقترب منى شيخ كبير قضى فى الخليج معظم حياته ثم قال لى :

يا أستاذ ؟! قلت له : نعم يا مولانا .. !

قال : أراك تتصرف مع وكيل الوزارة بعفوية وبساطة .. ونسيت أنه وكيل الوزارة .. !!

قلت للشيخ : وماذا تريد أن أفعل يا مولانا ؟!

قال : أريد أن أنصحك فقط ..

قلت : وبماذا تنصحنى ؟

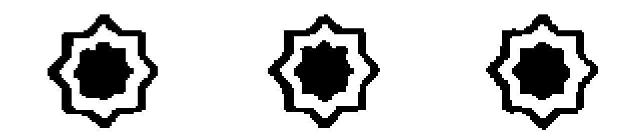
قال : عندما تسافر إلى هذه الإمارة سترى عجبًا !! فحذار أن تتكلم فى شئ من ذلك .. قصدًا .. ولا عرضًا !

قلت : ولماذا نسافر أصلاً إذا كان الكلام محرمًا .. والنهى عن الحرام ممنوعًا ؟!!

قال : لقد نصحتك .. وأبرأت ذمتى مما سوف تتعرض له فى المستقبل !!

إن الشيخ يطالبنى بتوقيع (صك) العبودية .. قبل أن أرحل ..

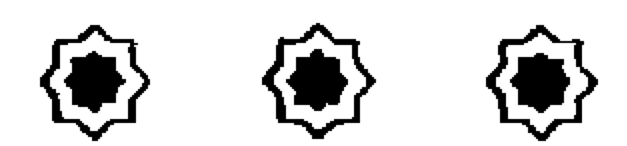
ومن هذا الحوار يتبين لنا مدى ما وصل إليه الحال بين علماء الأزهر .. !!



أما عن المبعوثين فى أوروبا وأمريكا .. فالحال أسوأ .. فهم وإن كان عددهم لا يتجاوز أصابع اليد .. فإن معظم جهودهم تنحصر فى الصلاة بالمسجد إذا حضر الوقت .. او فى الصلاة على ميت مسلم أدركته المنية فى عواصم الغرب !!

إن ملف هؤلاء المبعوثين ملىء بالعجب .. كثير منهم ذهب ولم يعد !! ومنهم من اشتغل بالتجارة وشراء الشقق !! وآخرون تفرغوا لبناء محطات تموين السيارات بالنفط !! وفريق رابع اتفق

مع دول أخرى سخية الجيب واليـد !! أمـا مصـر أو الأزهـر فقـد خرجا - وإلى الأبد - من القلب !!



المركز الإسلامى فى لندن يأتى فى مقدمة المراكـز التى كـان لمصر فيها نفوذ ، هذا المركز أقامته مصر فـى الأصـل ، والأرض التى أقيم عليها كانت ملكًا لمصر .. ففى الحرب العالميـة الثانيـة تنازلت مصر لقوات الحلفاء عن قطعة من أرض لإقامـة كنيسـة .. وتنازلت بريطانيا بالمقابل عن قطعة أرض لإقامة مسـجد ، وتـبرع الملك الراحل فاروق بمبلغ كبير من المال كـان ينفـق منـه على المركز الإسلامى والمسجد .

لم يكن فى بريطانيا فى ذلك الوقت سـوى مسـجد واحـد فـى ضاحيـة " ووكونـج " ، ولـم يكـن المسـلمون فـى بريطانيـا بهـذه الكثرة كما هو اليوم[1] .

وحين فكر المسـلمون فـى توسـعة المسـجد .. بـادرت مصـر لتنفيذ هذا المشروع وسافر إلى لندن - من أجل ذلـك - السـيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهوريـة فـى ذلـك الوقـت لوضـع حجر الأساس .. وما كاد المشروع يبدأ حتى ظهر فى الأفـق من

(١) فى بريطانيا ٢ مليون مسلم ..

يرى فى استئثار مصر – بهذا المسجد وهذا المركز – خطرًا .. فكان ما كان مما لم يعد خافيًا ولا سرًا !!

وقد جرت العادة عندما يسافر رئيس الجمهورية لزيارة بلد فى أوروبا وأمريكا أن يكون فى استقباله شيخ بعمامة .. وقس بقلنسوة !!

أما عن القس .. فقد أختير بعناية .. طول .. وعرض .. ومظهر ديني يفرض تقديره واحترامه على أى أحد ..

أما الآخر الذى هو " نحن " فصورة تشمئز منها النفس .. عمامة فى وسط الرأس !! وجبة ترتفع كثيرًا عن الأرض !! وجلباب يظهر من تحت (الجبة) فى لون كفن ميت كشف عنه فى القبر !!

وشعار معظمهم جميعًا – مبعوثين كانوا أو متعاقدين – هو البقاء حتى الموت .. أو الجهاد الدائم إلى آخر برميل من النفط !!

۞ ۞ ۞

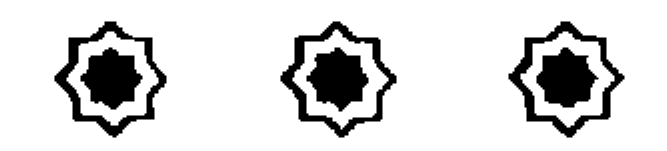
يقول ذو النون المصرى :

(كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضًا للدنيا وتركًا لها .. واليوم يزداد الرجل بعلمه حبًا للدنيا ولها طلبًا .. وكان

الرجل ينفق ماله على علمه ، واليوم يكسب الرجل بعلمه مـالاً .. وكان يرى على صاحب العلم زيادة فى باطنـه وظاهره .. واليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر) !!!

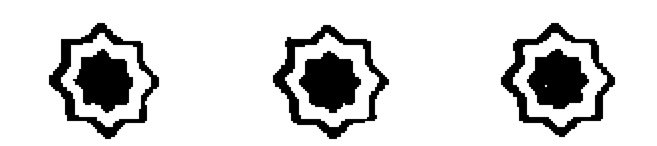
ويقول حجة الإسلام الغزالى :

العلماء ثلاثة : إمـا مهلك نفسه وغيره .. وهم المصرحون بطلب الدنيا المقبلون عليها ، و إما مسعد نفسه وغيره .. وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهرًا وباطنًا ، وأما مهلك نفسه مسعد غيره .. وهو الذى يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره ، وقصده فى الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه ، فانظر من أى الأقسام أنت ..



ويرى الإمام الغزالى :

أن التبعة الكبرى فى هذا الفساد الشامل ، والضعف فى الدين ، والانحلال فى الأخلاق .. تقع على العلماء ورجال الدين ، وهم السبب الأول فى فساد هذه الأوضاع ، لأنهم ملح الأمة ، وإذا فسد الملح فما الذى يصلحه ..



حدثوا أن شيخًا من حكماء الشيوخ المربيين ، أراد أن يعرف مدى استعداد تلاميذه ، ومقدار فهمهم لرسالتهم ، فاقترح على أربعة منهم أن يملأ كل واحد حجرة الدراسة بما يمليه عليه تفكيره وشعوره .

فذهب الأول فوجد فى طريقه حطبًا كثيرًا ، فحمله وجاء به إلى الحجرة ، وملأها به ، فقال له أستاذه : أنت رجل ضعيف الهمة تميل إلى العيش من أقرب طريق !!

وذهب الثانى فجاء بمجموعة من الكتب والمجلدات فكدسها فى الحجرة فقال له الحكيم : انت رجل نظرى تحسب أن فى الكتب كل شئ ، وتنسى كتاب الحياة الأكبر(١) .. !!

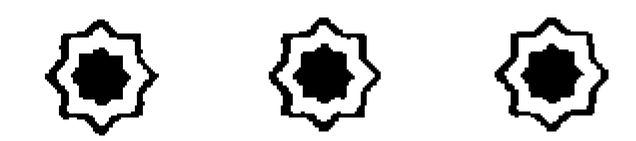
وذهب الثالث : فجاء بباقة من الأزهار والورد ، فوضعها فى الحجرة فقال له الأستاذ : أنت رجل طيب القلب ، تظن الحياة نعيمًا لا بؤس فيه ، ولا تذكر أن بجانب الورد أشواكًا مدمية .

وذهب الرابع فجاء بشمعة وأوقدها فى وسط الحجرة ، فنظر إليه أستاذه الحكيم نظرة المعجب وقال له : لله درك .. أنت الذى فهمت سر حياتك .. إن مهمتنا أن تضئ للناس الطريق !!

---

(١) رسالة الأزهر – دكتور يوسف القرضاوى – ص ٥٧ وما بعدها – مكتبة وهبة – القاهرة .

على ضوء هذا المثال ، ينبغى أن نفهم رسالة الأزهر الأولى ، ورسالة أبنائه وعلمائه .. إن مهمتنا أن نضئ للناس الطريق .. أجل، والله إن مهمتنا أن نذوب فى سبيل الإسلام ، ونحترق من أجل رسالة القرآن .. أن نكون شموعًا تضئ للناس الطريق إلى الجنة ، وتهدى الحائرين إلى الله .



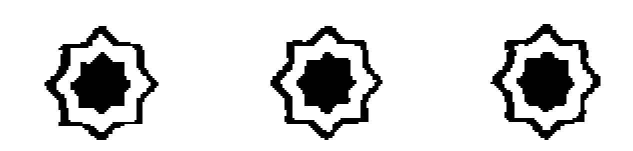
قبل أربعة عشر سنة كتب المرحوم جلال الدين الحمامصى فى عموده اليومى بجريدة الأخبار اليومية يقول[1] :

أنهى البابا يوحنا بولس الثانى أخيرًا جولته الثالثة فى أفريقيا خلال خمسة أعوام .. والبابا هو أنشط الذين أعتلوا كرسى البابوية فهو يقوم برحلات متعددة شرقًا وغربًا ، وشمالاً وجنوبًا .. وتلقى رحلاته فى صحف العالم الغربى تغطيات واسعة ، وأبرازًا صريحًا لأهدافها على أنه لأول مرة تكشف الصحف الأمريكية – وهى التى أتيحت لى قراءتها حتى الآن – أن هدف البابا من زيارته الحالية لأفريقيا هو حث رجال الكنيسة فى القارة السوداء على مقاومة المد الإسلامى فيها ؟ !!!

---

(١) ١٩٨٥/٨/١٥ .

ولا لوم على البابا فـى توجيهاتـه لرجـال كنيسـته .. ذلـك أنـه رجل دين سماوى وهو يرى أن مهمته ليست فـى اعتـلاء كرسـى البابوية ومراقبة ما يجرى عن بعد ، ولكن فى أن يحرك رجاله فـى كل مكان بالاتصال المباشر ، وغير المباشر للتبشير لهذا الدين ، ولو أننا قلنا غير ذلك لكان قولنا تدخلاً فيما لا يحـق لنـا التدخـل فيه .. ولكن مـن حقنـا القـول بـأن كـل تحـرك مـن جـانب البابـا وخاصة إذا كانت أهدافه وقـف المـد الإسـلامى يجـب أن يواجـه بتحرك مضاد ليس فـى خصومـة ولا عـداوة .. بـل فـي " منازلـة " بالرأى والحجة والموعظة الحسنة ..



وكلامنا اليوم نوجهه إلى دعاة الإسلام فى مصر وغير مصـر .. والقارة الأفريقية التـى زارهـا البـاب ثـلاث مـرات خـلال خمـس سنوات سعيًا إلى الحفـاظ علـى المـد الكـاثوليكى بهـا .. والـذى يقدر بمليونين فى العـام الواحـد .. ووصـل حاليًـا إلـى ١٦٪ من مجموع سكان القارة أو ما يقدر بخمسة وستين مليونًا ، ذلك أن هـذه القـارة يعيـش سـكانها حاليًـا - كمـا قـال متحـدث باسـم الفاتيكان - تحت سيطرة الروابط القبليـة المتنـافرة والتـى تسـبق الرابطة القومية الوطنية .. ومن هذا الواقع فإنه لكى تتحقق وحـدة أفريقية تكون أولا وقبل كل شئ فى خدمة الاتجاه القومـى داخـل

كل دولة أفريقية على حدة .. فلابد من إيجاد (رابطة تجانس) لا يحققها إلا واحد من عقيدتين " الكاثوليكية أو الإسلامية " .

ونحن نسأل .. هل لدى دعاة الإسلام فكرة عن هذه الاتجاهات البابوية المعلنة على لسان متحدث رسمى ؟ وهل لديهم إحصائيات دقيقة عن عدد المسلمين فى القارة الأفريقية ؟ ثم ألا يحسون أن هذا التحرك البابوى المتصل داخل القارة الأفريقية قد يكون جسًا لنبض قدرات دعاة الإسلام وحماته ومدى استعدادهم للتحرك المضاد ؟

إننا لا نريد مواجهة هذه الأسئلة كلها بالكلام .. فهو عبث ..

ونشاط البابا لم يكن بالكلام ولكن بالعمل والسفر والدعوة المباشرة .. فمتى نبدأ التحرك المضاد ؟

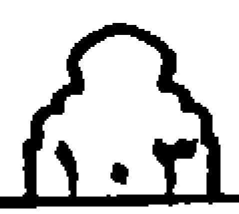
والأزهر لم يوفق مع الأسف فى رسم سياسة أفريقية[١] ولا فى تنفيذ ما يقوله رجاله المسئولون عن الدعوة .. وهيئات الدعوة للإسلام فى كل بلادنا العربية تقف وراء الأزهر بكثير فى هذا المجال ..

سيقولون : أنظروا إلى المراكز الثقافية التى أنشأناها .

أنظروا إلى أعداد المبعوثين الذين نعلمهم .

---

(١) دكتور حسين مؤنس –العدد التذكارى من مجلة الأزهر– جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ.



أنظروا إلى رسائل التأييد التى تتلقاها .

ونقول لهم :

كل هذا الكلام نحن نعرفه وأنتم تعرفونن حقيقته .. وحرام أن ندافع عن أنفسنا ونضحى بالإسلام ، وكلكم تعرفون أنكم تخسرون المعركة فى أفريقيا وفى آسيا .. !!

إذا سارت الأمور على هذا المنوال سنجد أنفسنا فى أفريقية ١٥٠ مليونًا فى مواجهة ٣٠٠ مليون غير مسلم على الأقل ..

هنا يتزعزع مركز العرب فى القارة والعالم كله تبعًا لذلك - هذه حقيقة ينبغى أن نضعها نصب أعيننا .

وهناك حقائق أخرى نستأذن القارئْ ألا نذكرها لأنها تثير عواصف سياسية نحن فى غنى عنها الآن !!

العمل هو أن نضع أمام أعيننا هذه الحقيقة .. أما أن يكسب الإسلام معركة أفريقية .. أو أن مستقبلنا فى هذه القارة سيكون حرجًا .

إن القاهرة ودمشق وحلب أو الكويت أو تونس أو المغرب حافلة بالمساجد ، إذا أردنا أن ننشئ مسجدًا فلنبنه فى بلد أفريقى ، لأن الإسلام ليس فى خطر فى حى الحسين ، ولكنه فى خطر فى نيجيريا ، وفى غينيا ، وتشاد ، وتنزانيا ، وزامبيا ، وملاوى ، وفى كل أفريقية .

والذين يرسمون خطط إنشاء المساجد فى مصر مثلاً عليهم أن يعرفوا أن هناك قبائل أفريقية مسلمة كاملة لا تجد مسجدًا واحدًا تصلى فيه ..

وهل تعلم مثلاً أن مسجدًا إسلاميًا كبيرًا واحدًا كالذى بنته البلاد العربية فى السنغال كان له أبعد الأثر فى تقوية مركز المسلمين هناك ؟

إن المساجد هى قواعد انتشار الدعوة الإسلامية .. وهناك مساجد قامت بها جيوش فاتحة .

خذ مثلاً مسجد القرويين فى فاس ، فهذا المسجد كان ذا أثر حاسم فى نصر الإسلام النهائى فى المغرب الأقصى حتى آخر منطقة الصحراء التى كانت بالأمس أسبانية ، والآن انضمت إلى عالم الإسلام .

وجامع الفاشر فى كردفان فى جنوب غربى السودان " فتح " للإسلام بلاد وادى القديمة وثبت الإسلام فى بلاد تشاد حيث قامت مملكتا البورنو والكائم الإسلاميتان .

وهل هناك إهانة للإسلام فى أفريقيا هى أشد ألمًا من سيطرة بلد متأخر هو الحبشة على شعب إسلامى عربى كامل هو الشعب الحبشى والأريترى .

إن أوروبا كلها وراء هذه المأساة .. كانت وراءها أيام هيلا سلاسى ، وهو دون شك من ألد أعداء الإسلام ، وكان الغرب كله يؤيده لهذا السبب ..

وقد أخطأنا خطأ جسيمًا عندما وافقنا على أن تكون أديس أبابا مقرًا لمجلس الوحدة الأفريقية .

وعندما وقع الانقلاب وتخلى الغرب عن الحبشة أسرعت روسيا السوفيتية لتقف إلى جانب " منجستو هيلا مريم " ..

أليس هذا كافيًا لكى يفتح المسلمون أعينهم ..

والذين يجهدون أنفسهم فى إنشاء جامعات دينية فى مصر وغيرها من بلاد العرب مهمتها تقويم إسلام المسلمين ، أليس أولى بهم أن ينشسروا الإسلام فى بلاد أفريقية ؟

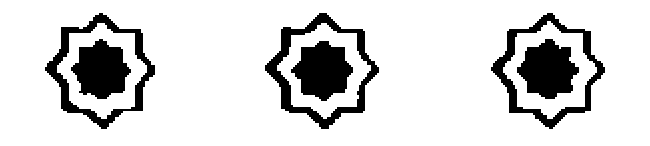
والذين أرادوا أن يكفروا عن ذنوبهم ويهاجروا إلى الله .. ألم يكن أولى بهم أن يهدوا الكفار ويهاجروا إلى الجبهة التى يحارب فيها الإسلام وحده اليوم ليكونوا مجاهدين حقًا ؟

إن مستقبل الإسلام فى أفريقية فى خطر .. وأعتقد أن هذا واضح الآن .. وكل مليم ينفق فى أغراض إسلامية ينبغى أن ينفق اليوم خارج الحدود لا داخل دار الإسلام .

إن عندنا معاهد لتخريج الدعاة ، ولكنها فى الحقيقة تخرج موظفين على درجات .. والداعية الحق لا يمكن أن يكون موظفًا على درجة .. إن درجته ينبغى أن تكون عند الله سبحانه وتعالى إذا كان مؤمنًا بالله حقًا .

قرأت ذات مرة على باب دير يعدون فيه المبشرين فى أسبانيا :

" أيها الشباب الذى يريد أن يدخل فى صفوف المبشرين ليس عندنا مال نعطيك إياه .. ليس لدينا بيت نبنيه لك .. ستنضم إلينا وستخرج داعيًا للمسيح ، وكل ما ستجده هو التعب والتضحية والعمل والأمراض .. لأن جزاءك ليس عندنا .. إنه عند الله .. وبيتك الحق ليس عندنا إنه عند الله .. فإذا أردت أن تنضم إلينا فعلى هذا الأساس .. وإلا فأنت لست بحاجة إلينا ولسنا بحاجة إليك) !!!



لقد بلغ :

- عدد مؤسسات التنصير وإرسالياته ووكالات الخدمات النصرانية ١٢٠,٨٨٠ مؤسسة .
- والمعاهد التى تؤهل المنصرين وتدربهم بلغ عددها ٩٩,٢٠٠ معهدًا.

• والمنصرون المحترفون العاملون علـى رأس العمـل التنصـيرى يبلغ تعدادهم ٤,٢٠٨,٢٥٠ منصرًا .

• وفى مؤسسات التنصير هذه ٨٢,٠٠٠,٠٠٠ مليونًا من أجهـزة الكمبيوتر[(١)] .

• وعـدد المجـلات التـى تصدرهـا المؤسسـات التنصيريـة يبلـغ ٢٤,٩٠٠ مجلة .

• وعدد الكتب التى أصدرتها هذه المؤسات بلغ فى عـام واحـد ٨٨,٦١٠ كتاب .

• ومحطـات الإذاعـة والتلفـاز التـى تبـث التنصـير يبلـغ عددهــا ٢,٣٤٠ محطة .

• ونسخ الأنــاجيل التـى وزعتهـا (مجانًـا) فـى عـام واحـد هـى ٥٣,٠٠٠,٠٠٠ .

• والمدارس ورياض الأطفال التى تشرف عليها كنائس التنصــير تبلغ فى العدد ١٠,٦٧٧ مدرسة .

• والطـلاب الذيـن يدرسـون فـى هـذه المـدارس الكنسـية يبلـغ عددهم ٩ ملايين طالب .

---

(١) الإسلام والتحديات المعاصرة - دكتور محمد عمارة - ص ٣٢٦ وما بعدها .

• والمستشفيات التى تملكها هذه الكنائس يبلغ عددها ١٠,٦٠٠ مستشفى .

• ودور إيواء العجزة والأرامل والأيتام التابعة لها هى ٦٨٠ دارًا .

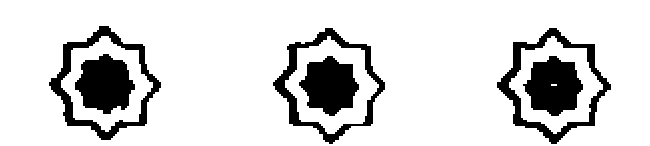
• وعدد الصيدليات المملوكة لها هو ١٠,٠٥٠ صيدلية .

• وميزانية خدمة المشاريع النصرانية تبلغ ١٦٣ مليارًا من الدولارات .

• ودخل الكنائس العاملة فى التنصير هو ٩,٣٢٠ مليارًا من الدولارات.

• ودخل الأرساليات الأجنبية هو ٨,٩٠٠ مليار من الدولارات .

• ولقد بلغت التبرعات التى قدمت للكنيسة فى سنة واحدة هى سنة ١٩٩٠ م مبلغ ١٥٧ مليونًا من الدولارات[١] .



ومما يثير الدهشة والألم ، أن يعلن وزير الأوقاف أن وزارته هى المسئولة الوحيدة عن الدعوة ، وأن الأزهر مؤسة تعليمية " بحته " !!

---

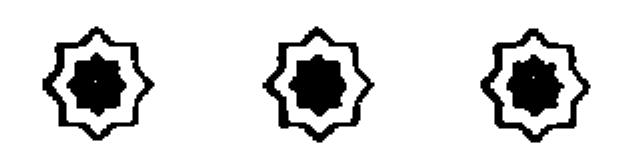
(١) نقلاً عن النشرة الدولية لبحوث الإرساليات التنصيرية ١٩٩١ م .

وكان الأولى بالوزير أن ينظر إلى المساجد الخربة ، وإلى الخواء والغثاء فى خطب الجمعة ، وإلى الشكاوى التى تنشرها الصحف عما انتهى إليه حال الخطباء والأئمة .. !!

صحيح .. يوجد من بين هؤلاء الخطباء والأئمة عناصر ممتازة .. ولكن هؤلاء الممتازين قلة نادرة ، والنادر فى حكم المعدوم كما يقول علماء الفه واللغة !!

الأزهر أيها الوزير هو مركز الدعوة وهو - فى ذلك - مناط أمل المسلمين فى كل الدينا ..

والتاريخ يكرر نفسه ، ففى عهد الإمام الأكبر محمود شلتوت تقدم وزير الأوقاف وشئون الأزهر بمشروع قرار جمهورى يسلب به من الأزهر هذا الحق ، ولم يكتف المشروع بذلك .. بل طالب بإلغاء إدارة الوعظ وفى رده على هذا المشروع تقدم الإمام الراحل بمذكرة إلى القيادة السياسية فى هذا الوقت ، فألقت بالمشروع وصاحبه وراء الظهر !!



لقد أصابتنى حسرة وأنا أتابع محاضرات (الملتقى الإسلامى الفكرى) الذى تقيمه الوزارة - أى وزارة الأوقاف - فى شهر رمضان من كل عام لم تصدق عينى ما أرى .. ولا ما أسمع !!

فمعظم ما قيل فى هذا " الملقتى " لا يزيد عما يقوله إمام فى زاوية أو خطيب فى مسجد !! كلام معاد .. ومكرر .. واجترار لأحكام فقهية يعرفها كل مسلم .. وتكرار وإعادة لقصص وحكايات حفظها الناس لكثرة إعادتها وتكرارها فى كل مسلم .

أين القضايا التى تهم الوطن .. والمواطن ؟

وقضايا الفكر التى تهز أركان العالم ؟

وموقف المسلم المعاصر فى مواجهة التطورات التى تسابق الزمن ؟

وقضايا الشباب الذى يتساقط كأوراق الشجر ؟

وقضايا الفتن والمحن التى يمر بها المسلمون فى جميع أنحاء العالم ؟

وقضايا الغلو والتطرف ؟

وقضايا الحرية والعدل ؟

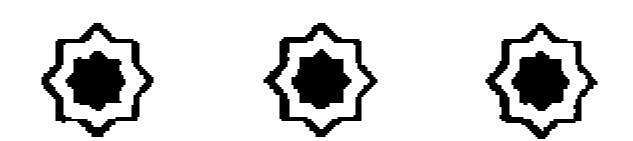
وقضايا التعليم والتربية ؟

وقضايا الخلافات المذهبية والفكر ؟

وقضايا الدعاة والدعوة ؟

وقضايا التخلف والفرقة ؟

بل أين كان هذا " الملتقى الإسلامى " من (عبدة الشيطان) الذين ظهروا على مسرح الحياة فجأة .. وفى شهر رمضان المبارك .. وفى القاهرة المحروسة .. وفى مصر أم الدنيا .. ؟ !!



يقول السير " توماس أرنولد " :

" .. ومهما تكن المساوئ التى نجمت عن حاجة المسلمين إلى طبقة كهنوتية تختص بنشر العقيدة ، فقد وجدوا ما يعوضهم عنها فى ذلك الشعور الناشئ عن المسئولية التى ألقيت على كواهل المؤمنين من الأفراد . ولما لم تكن هناك واسطة بين المسلم وربه ، فإن مسئولية خلاص الشخص ملقاة على كاهله وحده .

وكان من أثر ذلك أن أصبح المسلم - كما جرت العادة - أكثر تشددًا واهتمامًا فى أداء واجباته الدينية ، وأشد تحملاً للمتاعب فى سبيل تعليم مبادئ دينه وإقامة شعائره .

وبذلك يؤثر لنفسه - وقد رسخت فى ذهنه أهمية هذه المبادئ وتلك الشعائر - أن يصبح رمزًا لخلق الداعى إلى دينه بين يدى الكافر .

ومهما تكن المبالغة عظيمة فى القول ، ومهما ردد الباحثون القول بأن كل مسلم داعية إلى دينه يبقى هذا القول حقيقيًا .

ونجد في ثَبَت يتضمن أسماء دعاة من الهنود المسلمين ، نشر في صحيفة إحدى جمعيات " لاهور " الدينية الخيرية ، أسماء معلمي مدارس ، وكتاب للحكومة في مصلحة القناة والأفيون ، وتجار (بينهم أحد العمال في عربات النقل بالجمال) ، ومحرر بإحدى الصحف ، ومجلد كتب ، وعامل في مطبعة . ماذا صنع هؤلاء ؟ !!

خصص كل واحد من هؤلاء الناس ساعات فراغهم - بعد إنجاز عملهم اليومي - للدعوة إلى دينهم في الطرقات وأسواق المدن الهندية ، متلمسين مسلمين جدد من بين المسيحيين والهندوكيين جميعًا ، فكانوا يجادلونهم ويحملونهم على عقائدهم " .

ثم قال : (.. ومما يثير اهتمامنا ما نلاحظه من أن نشر الإسلام لم يكن من عمل الرجال وحدهم ، بل لقد قامت نساء مسلمات أيضًا بنصيبهن في هذه المهمة الدينية ، فيرجع الفضل في إسلام كثيرٍ من أمراء المغول إلى تأثير زوجة مسلمة .

ولا يبعد أن يكون مثل هذا التأثير سببًا في إسلام كثير من الأتراك الوثنيين عندما أغاروا على الأقطار الإسلامية ..

وقد أنشأ دعاة السنوسية الذين قدموا لنشر دعوتهم شمال بحيرة " تشاد " مدارس للبنات ، واستغلوا ما تحدثه النساء

بعلاقات المظاهرة من نفوذ قوى بين القبائل (كما كان لهن مثل هذا النفوذ بين جيرانهن من البربر) فبذلوا جهودهم لتكوين داعيات يجتذبن الآخرين إلى صفوف الإسلام .

وفى أفريقيا الشرقية الألمانية (تنجانيقا قبل الحرب العالمية الأولى) دخل فى الإسلام هؤلاء الأهالى الوثنيون الذين كانوا يتركون أوطانهم ستة أشهر أو أكثر للعمل فى السكك الحديدية أو الأراضى الزراعية دخلوا فيه على أيدى نساء مسلمات تعاقدوا معهن على زواج مؤقت .

فإن هولاء النساء كن يرفضن أن يتعاملن فى شىء مع كافر لا يختتن بعد فكان بعولتهن يتجنبون ذلك العار الذى يلحق من يحمل مثل هذا اللقب بأن يختتنوا وبذلك يقبلون الدخول فى الجماعة الإسلامية .

وقد قيل : إن تقدم الإسلام ببلاد الحبشة فى خلال النصف الأول من القرن الماضى إنما يرجع إلى حد كبير إلى ما بذله النساء المسلمات من الجهود .. .

ثم قال السير " توماس أرنولد " :

حتى المسلم الأسير .. كان يغتنم الفرص فى المناسبات لدعوة أسرية أو إخوانه فى الأسر إلى دينه .. !

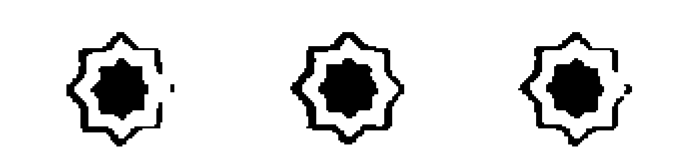
وقد تسرب الإسلام إلى أوروبا الشرقية أول الأمر بفضل ما قام به فقيه مسلم سيق أسيرًا فى إحدى الحروب التى نشبت بين الدولة البيزنطية وجيرانها المسلمين وجئ به إلى بلاد PECHENEGS فى مستهل القرن الحادى عشر .

وقد بسط هذا الفقيه بين يدى كثير منهم تعاليم الإسلام فاعتقدوه فى إخلاص ، حتى أنه أخذ فى الانتشار بين الشعب ، وأقبلت عليه طوائف شتى أما سائر الـ PECHENEGS الذين لم يكونوا قد قبلوا دين الإسلام فقد أرتابوا فى تصرف مواطنيهم ، وكرهوا منهم هذا التحول ، ثم انتهى الأمر إلى نشوب القتال بينهم .

وقاوم المسلمون – وكان عددهم يبلغ نحوًا من اثنى عشر ألفًا – هجمات الكفار فى نجاح .

ومع أن هؤلاء كانوا أكثر منهم عددًا بما يزيد على الضعفين ، فقد فشلوا أمامهم فشلاً ذريعًا .

ثم دخلت فلول المهزومين فى دين المؤمنين القلائل المنتصرين ..



ولقد كان للأزهر الشريف في دنيا الإسلام مقام قلما يدانيه فيه معهد من معاهد العلم ، وكان لعلمائه سلطان على القلوب والنفوس دونه سلطان الملوك ورجال الحكم .

ومن نعم الله على مصر أن قام الأزهر الشريف فى رحابها الطاهر يوجه ويرشد ، ويقوم ويصلح ، ويتصدى علماؤه العاملون لمقاومة الطغيان والبغى ، ويقودون بتقواهم وصلاحهم قوافل الحرية والإصلاح دون رهبة أو خوف ، ويصححون مسيرة الحياة العابثة حين تنحرف وتعوج .

كانوا أجل من الملوك جلالة ... وأعز سلطانًا وأفخم مظهرا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم ... حرم الأمان وكان ظلهم الذرا
من كل بحر فى الشريعة زاخر ... ويريكه الخلق العظيم غضنفرا

يقول مقاتل بن سليمان :

دخلت على " حماد بن سلمة " فإذا ليس فى البيت إلا حصير وهو جالس وفي يده مصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه – أى كتبه – ومطهرة يتوضأ منها . فبينما أنا جالس إذ دق الباب فقال: يا حبيبة اخرجى فانظرى من هذا ؟ فقالت رسول محمد بن سليمان (أى الحاكم) فأذن له فدخل .

فقال : أما بعد : فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته . وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها .

فقال : يا حبيبة هلم الدواة ، ثم قال لى :" أقلب الكتاب واكتب :

أما بعد : فأنت صبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته ، أنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدًا ، فإن وقعت لك مسألة فأتنا وسل ما بدالك ، وأن أتيتنى فلا تأتنى بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح إلا نفسى والسلام .

فبينما أنا جالس إذ دق الباب .

فقال : يا حبيبة أخرجى فانظرى من هذا .

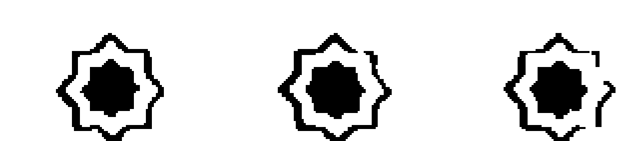
قالت : محمد بن سليمان (أى الحاكم) .

قال : قولى له : يدخل وحده ، فدخل وجلس بين يديه .

ثم ابتدأ فقال : ما لى إذا نظرت إليك أمتلأت رعبًا ؟ !!

قال حماد : حدثنى ثابت البنانى قال : سمعت أنسًا يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء .. وإذا أراد أن يكنز الكنوز هاب من كل شيء) .. !!!



فأنظر - رحمنى الله وإياك - إلى هذا الميزان الدقيق الذى أقامه المصطفى " صلى الله عليه وسلم " إذا أراد العالم بعلمه وجه الله .. هابه كل شيء .. فإذا أراد به دنيا فانية أو عرضًا تافهًا من أعراضها الزائلة كان مثالاً للخوف الذى ترتعد به مفاصله ، وكان ترجمانًا للزيف الذى ينطق به لسانه ، وكان فتنة فى الدين تنتهى بالناس إلى ضلالة مضلة ، وفتنة فى الدنيا تهوى بهم إلى درك المهانة والذلة .

ورحم الله العز بن عبد السلام .

خرج يومًا إلى الأزهر فرأى موكبًا تنخلع من جلاله القلوب وانكفأت الخلائق كلها وراء هذا الموكب حتى وصل الأزهر ، وملأ الناس صحنه الرحيب وساحته الفسيحة ، والطريق من حوله ، وانكشف الغبار عن الملك الصالح أيوب ، وقد انحنت له الرؤس وخشعت له الأصوات ، وحبست الأنفاس ، وإذا بصوت جهورى يخرج من صف المشايخ ينادى الملك باسمه ويقول :

- يا أيوب ! يا أيوب !

ويتلفت الملك وإذا بالمتكلم الشيخ عز الدين بن عبد السلام .

قال : يا أيوب ما حجتك عند الله إن قال لك ألم أبوىء لك مصر ثم تبيح الخمور ؟

قال : وهل جرى ذلك ؟

قال نعم : الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة ؟!

قال : هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبى !

قال : أأنت ممن يقولون :

" إنا وجدنا آباءنا على أمة .. وأنا على أثارهم مقتدون " .

فأمر الملك برفعها .

وانقضى الموكب وما للناس إلا حديث الشيخ . ولما رجع الشيخ إلى بيته قال له تلميذ من تلامذته :

– يا سيدى ما هذا الذى صنعت ؟

قال : رأيت السلطان فى تلك العظمة فخفت عليه الهلاك من الكبر فأردت أن أصغر عليه نفسه وأعينه عليها ، ولا يكون العالم عالمًا يا ولدى إلا إذا علم أنه كالطبيب فالطبيب تزداد الحاجة إليه كلما أشتد على الناس مرض الجسم ، والعالم يحتاج إليه كلما قوى فى الملوك مرض النفس !

قال : وما مرض النفس ؟

قال : العظمة يا ولدى .. فمن لم ينصح الملك يوم يشتد سلطانه وتقوى نفسه ، ويبين له طريق الحق لئلا يجانبه ، وسبيل الخير لئلا يعدل عنه . لا يكون عالمًا . بل غاشًا وخادعًا .

قال تلميذه : لكن أما خفته ؟

قال الشيخ : يا بنى استحضرت هيبة الله .. فصار السلطان قدامى كالقط !!!

۞ ۞ ۞

وعندما وقعت الحرب بين مصر والحبشة فى عهد الخديوى إسماعيل أشار عليه بعض رجال حاشيته ، أن يجمع علماء الأزهر على قراءة البخارى طوال أيام هذه الحرب ، حتى يضمن لجيشه النصر .

– ورصد الخديوى لهذه المهمة ألوف الجنيهات ينفق منها على العلماء والقراء المتفرغين لهذا الأمر .. وأنتظر الخديوى قدوم البشريات بالانتصار والفتح ، فجاء الأمر على عكس ما كان يأمل ويتوقع فى هذه الحرب . فجمع العلماء ثم صاح فيهم غاضبًا :

إما إنكم لستم بعلماء أو أن الذى تقرءونه ليس هو " البخارى " .

فقام من بينهم شيخ وصاح فى وجه الخديوى قائلاً :

– يا إسماعيل .. إننا مهما دعونا و قرأنا فلن تنتصر فى هذه الحرب !!

وفوجئ الخديوى بهذا الرد .

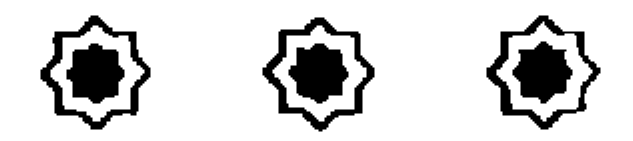
ثم وجه بعد ذلك سؤاله إلى هذا الشيخ :

- ولم لا أنتصر فى هذه الحرب أيها الشيخ ؟

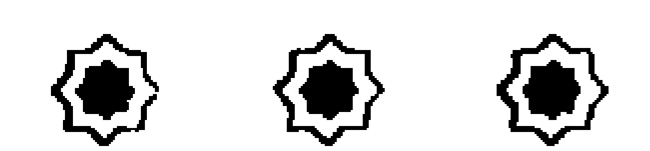
فقال الشيخ :

- السبب فيك يا إسماعيل .. فقد رأيناك تظلم وتفسد فى الأرض ولم يرتفع منا صوت يقول لك : قف عند هذا الحد ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

(لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم " !!



أما الآن - كما يقول الإمام الغزالى - فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا ، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا ، ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء ، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على محاسبة الأرذال ، فكيف بمواجهة الملوك والحكام ؟!



من وصايا الإمام الغزالى[1]

أما بعد :

فالنصيحة هى هدية العلماء ...

وأنه لن يهدى - أحد - إليه هدية بشئ أكرم من قبوله لها ، وإصغائه بقلب فارغ من ظلمات الدنيا إليها ..

وقد قيل لرسول الله ﷺ : من أكرم الناس ؟

فقال : أتقاهم ..

فقيل : من أكيس الناس ؟

فقال : أكثرهم للموت ذكرًا ، وأشدهم له استعدادًا ..

وقال ﷺ :

---

(١) هذا لون خاص من النصح ، يتعرض فيه الإمام لذى جبروت مفتون بالحياة سجين فى مأربها ، مشغول عن الله والدار الآخرة .

والرسالة فى هذا المجال صحيحة كل الصحة .

فإذا حاول الواعظ تعميم بعض ما جاء بها ، أخطأ القول وضل السبيل .

فإن حفر الآبار مثلاً من الأعمال الصالحة التى يبقى ثوابها بعد وفاة صاحبها ولكنه هنا من ملك مغرور مغتصب للحقوق عد إثما يستحق اللوم ، فتأمل السياق جيدًا حتى لا تزل .

" الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ..

والأحمق من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى " .



وأشد الناس غباوة وجهلاً من تهمه أمور الدنيا التى تختطف منه عند الموت ، ولا يعرف أهو من أهل الجنة أو من أهل النار ، وقد عرفه الله تعالى ذلك حيث قال :

(إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم)(١) (فأما من طغى ، وأثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى)(٢) .

وإنى أوصيه أن يصرف إلى هذا المهم : همته ..

وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ..

وأن يراقب سريرته وعلانيته ، وأقواله ، وأفعاله ..

أهى مقصورة على ما يعمر دنياه بالمكدرات والهموم ، ثم يختمها والعياذ بالله بالشقاوة .. ؟

---

(١) سورة الانفطار : آية ١٣ و ١٤ .

(٢) سورة النازعات : الآيات ٣٧ : ٤١ .

فليفتح عن بصيرته : (ولتنظر نفس ما قدمت لغد)[١] .

وليعلم أنه لا مشفق عليها ولا ناظر فى أمرها سـواه .. وليتدبـر ما هو بصدده ..

فإن كان مشغولاً بعمارة ضيعة فلينظر :

كـم مـن قريـة أهلكهـا اللـه وهـى ظالمـة ، فهـى خاويـة علـى عروشها بعد عمارها ؟

وإن كان مقبلاً على استخراج ماء أو عمارة نهر فلينظر :

كم من بئر معطلة بعد عمارها ؟

وإن كان مهتمًا بتأسيس بناء فلينظر :

كـم مـن قصـور مشـيدة البنيـان محكمـة القواعـد والأركـان أظلمت بعد سكانها .

وإن كان مشغولاً بخدمة سلطان فليتذكر ما ورد فى الخبر :

إنه ينادى مناد يوم القيامة . أين الظلمة وأعوانهم ؟

فلا يبقى أحـد مد لهم دواة أو برى لهم قلمًا فمـا فـوق ذلـك إلا أحضر .

فيجمعون فى تابوت من نار فيلقون فى جهنم ..

(١) سورة الحشر : آية ١٨ .

وإن كان فى طلب المال وجمعه ، فليتأمل قول عيسى عليه السلام :

(يا معشر الحواريين .. مسرة فى الدنيا .. مضرة فى الآخرة.. بحق أقول لكم :

لا تدخل الأغنياء ملكوت السماء ..

وقد قال نبينا محمد ﷺ :

يحشر الأغنياء أربع فوق :

رجل جمع مالاً من حرام وأنفقه فى حرام ..

فيقال : أذهبوا به إلى النار ..

ورجل جمع مالاً من حرام وأنفقه فى حلال ..

فيقال : إذهبوا به إلى النار ..

ورجل جمع مالاً من حلال وأنفقه فى حرام ..

فيقال : إذهبوا به إلى النار ..

ورجل جمع مالاً من حلال وأنفقه فى حلال ..

فيقال : قفوا هذا وسلوه ..

لعله ضيع بسبب غناء فيما فرضناه عليه .

أو قصر فى الصلاة ، أو فى وضوئها ، أو فى ركوعها ، أو فى سجودها ، أو فى خشوعها .. ؟

أو ضيع شيئًا من فروض الزكاة والحج ..

فيقول الرجل :

جمعت مالى من حلال ، وأنفقته فى حلال ، وما ضيعت شيئًا من حدود الفرائض ، بل أتيت بتمامها .

فيقال : لعلك باهيت بمالك ، واختلت فى شئ من ثيابك ؟

فيقول : يارب ! ما باهيت بمالى ، ولا اختلت فى شىء من ثيابى ..

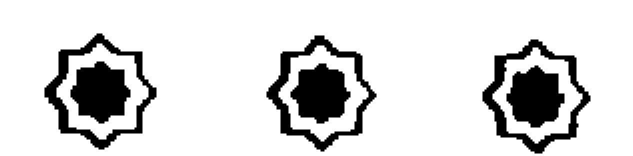
فيقال : لعلك فرطت فيما أمرناك من صلة الرحم ، وحق الجيران والمساكين ، وقصرت فى التقديم والتأخير ، والتفضيل والتعديل .. ويحيط به هؤلاء فيقولون :

ربنا أغنيته بين أظهرنا وأحوجتنا إليه فقصر فى حقنا ..

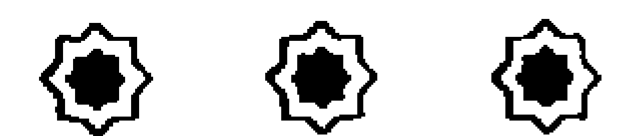
فإن ظهر تقصيره ذهب به إلى النار ..

وإلا قيل له : قف .. !

هات الآن شكر كل نعمة .. وكل شربة .. وكل أكلة .. وكل لذة .. فلا يزال يسأل ويسأل .. " .



فهذه حال الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله .. فكيف حال المفرطين المنهمكين فى الحرام والشبهات .. ؟



هذه المطالب الفاسدة ، هى التى استولت على قلوب الخلق ، تسخرها للشيطان وتجعلها ضحكة له ..

فعليه وعلى كل مستمر فى عداوة نفسه أن يتعلم علاج هذا المرض الذى حل بالقلوب ..

فعلاج مرض القلوب أهم من علاج مرض الأبدان .. ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .

وله دواءان :

أحدهما : ملازمة ذكر الموت وطول التأمل فيه ..

والدواء الثانى : تدبر كتاب الله تعالى ، ففيه شفاء ورحمة للعالمين ..

وقد أوصى رسول الله ﷺ بملازمة هذين الواعظين فقال :

" تركت فيم واعظين : صامتًا ، و ناطقًا .

الصامت : الموت .. والناطق : القرآن .. " .

وقد أصبح أكثر الناس أمواتًا عن كتاب الله تعالى ، وإن كانوا أحياء فى معايشهم ، وبكمًا عن كتاب الله ، وإن كانوا يتلونه بألسنتهم ، وصمًا عن سماعه ، وإن كانوا يسمعونه بآذانهم ، وعميًا عن عجائبه ، وإن كانوا ينظرون إليه فى مصاحفهم ، وأميين فى أسراره وإن كانوا يشرحونه فى تفاسيرهم .

فأحذر أن تكون منهم .

وتدبّر أمرك ، وأمر من لم يتدبر ، كيف ندم وتحسر ؟

وأنظر أمرك ، وأمر من لم ينظر فى أمر نفسه ، كيف خاب عند الموت وخسر ؟

واتعظ بآية واحدة من كتاب الله تعالى :

" يا أيها الذين أمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون "[1] ..

وإياك . إياك . أن تشتغل بجمع المال .

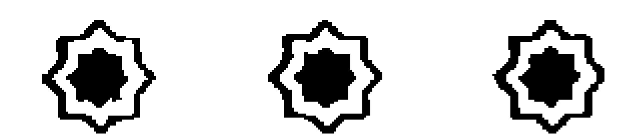
فإن فرحك به ينسيك أمر الآخرة ، وينزع حلاوة الإيمان من قلبك .

---

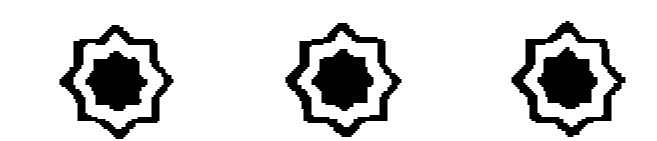
(١) سورة المنافقون : آية ٩ .

قال عيسى عليه السلام :

" لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا ، فإن بريق أموالهم يذهب بحلاوة إيمانكم " ..



وأسأل الله أن يصغر عنده الدنيا التى هى صغيرة عند الله ، وأن يعظم فى عينيه الذى هو عظيم عنده ، وأن يوفقنا وإياه لمرضاته ويحله فى الفردوس الأعلى من جناته . بفضله ، وكرمه ، آمين .



الرسالة التأديبية للإمام الغزالى :

يقول الإمام الغزالى :

إن هاشمًا الأصم كان من أصحاب شقيق البلخى رحمة الله عليهما .

فسأله يومًا فقال :

صاحبتنى منذ ثلاثين سنة ما حصلت فيها .

قال : حصلت ثمانى فوائد من العلم ، وهى تكفينى منه لأنى أرجو خلاصى ونجاتى فيها .

فقال شقيق : ما هى ؟ قال هاشم الأصم :

الفائدة الأولى :

إنى نظرت إلى الخلق فرأيت لكل منهم محبوبًا يحبه ويعشقه ، وبعض أولئك المحبوبين يصاحبه إلى مرض الموت ، والبعض الآخر إلى شفير القبر .

ثم يرجع كله ويتركه فريدًا ، وحيدًا ، ولا يدخل معه فى قبره منهم أحد .

فتفكرت وقلت أفضل محبوب المرء ما يدخل فى قبره ويؤانسه فيه ، فما وجدته فى غير الأعمال الصالحة ، فأخذتها محبوبًا لى لتكون سراجًا فى قبرى ، وتؤانسنى فيه ، ولا تتركنى فريدًا ..

الفائدة الثانية :

إنى رأيت الخلق يقتدون بأهوائهم ، ويبادرون إلى مراد أنفسهم فتأملت قوله تعالى :

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى ﴾[1] .

فتيقنت أن القرآن حق صادق ، فبادرت إلى خلاف نفسى وتشمرت بمجاهدتها وما متعتها بهواها حتى رضيت بطاعة الله سبحانه وتعالى وانقادت .

الفائدة الثالثة :

إنى رأيت كل واحد من الناس يسعى فى جمع حطام الدنيا ، ثم يمسكه قابضًا بيديه عليه . فتأملت قوله تعالى :

﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾[2] .

---

(١) سورة النازعات : آيتى ٤٠ – ٤١ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٨٥ .

فلذت بالإيثار ، واستودعت عند الله إعانة البـائس ، وإسـعاف الفقـير ، لعلـى أحشـر فـى ظـل صدقتـى يـوم يقـوم النـاس لـرب العالمين .

الفائدة الرابعة :

إنـى رأيـت بعـض الخلـق ظـن شـرفه وعـزه فـى كـثرة القـوم والعشائر فاعتز بهم .

وزعم آخرون أنه فى حيازة الأموال ، وكثرة الأولاد فـافتخروا بها .

وحسـب بعضهـم الشـرف والعـز فـى غصـب أمـوال النـاس وظلمهم وسفك دمائهم .

واعتقدت طائفة أنه فى اتلاف المال وإسرافه وتبذيره وتـأملت قوله تعالى :

﴿ فمن زحـزح عن النار وأدخـل الجنـة فقـد فـاز ومـا الحيـاة الدنيـا إلا متاع الغرور ﴾[1] .

---

(١) سورة الزخرف : آية ٣٢ .

فـأقبلت علـى ربـى ونفضـت يـدى مـن هـذه الملهيـات والأباطيل ..

الفائدة الخامسة :

إنى رأيت الناس يـذم بعضهـم بعضًـا ، ويغتـاب بعضهـم بعضًـا فوجدت ذلك من الحسد فى المال ، والجاه ، والعلم ..

فتأملت قوله تعالى :

﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ﴾ .. ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا ورحمت ربك خير مما يجمعون ﴾[(١)] .

فعلمت أن القسمة من الله تعالى فـى الأزل ، وأن الضيـق بهـا حمق ، فما حسدت أحدًا ورضيت بقسمة الله تعالى ..

الفائدة السادسة :

إنـى رأيـت النـاس يعـادى بعضهـم بعضًـا لشـتى الأغـراض والأسباب فتأملت قوله تعالى :

﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا ﴾[(٢)] .

---

(١) سورة الزخرف : الآية ٣٢ .

(٢) سورة فاطر : آية ٦ .

فعلمت أنه لا يجوز غير عداوة الشيطان ، فانتصبت له وتأهبت لحربة .

الفائدة السابعة :

إني رأيت كل أحد يسعى بجده ، ويجتهد في طلب القوت والمعاش بحيث يقع في شبهة أو حرام ، بل قد يذل نفسه وينقص قدره ، فتأملت قوله تعالى :

﴿ ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾(٢) .

فعلمت أن رزقي على الله تعالى ، وقد ضمنه ، فاشتغلت بعبادته وقطعت طمعي عمن سواه وترفعت عن الشبهات والدنايا.

الفائدة الثامنة :

إني رأيت كل واحد يعتمد على مخلوق .

بعضهم على الدنيا والدرهم .

وبعضهم على المال والملك .

وبعضهم على الحرفة والصناعة .

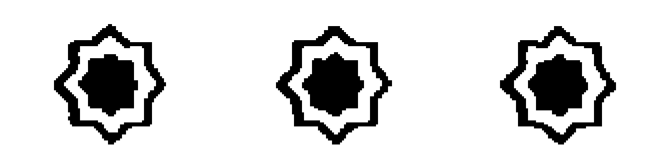
---

(٢) سورة هود : آية ٦ .

وبعضهم على مخلوق مثله من الكبراء أصحاب الحول والطول . فتأملت قوله تعالى :

﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾[1] .

فقال شقيق : وفقك الله ، إنى نظرت فى التوراة ، والإنجيل والزبور ، والفرقان فوجدت الكتب الأربعة تدول حول هذه الفوائد فمن عمل بها كان عاملاً بهذه الكتب الأربعة . أ . هـ .



(١) سورة الطلاق : آية ٣ .

بين العلم والعمل

" رسالة من الإمام الغزالى إلى أحد تلاميذه .. "

يا ولدى .. !

النصيحة سهلة ، ولكن الصعب قبولها .. !

لأنها فى فم من لم يتعودها مرة المذاق .

وإن من يحصل العلم ولا يعمل به ، تكون الحجة عليه أعظم ، كما قال رسول الله ﷺ :

" أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه " ..

يا ولدى ..

لا تكن من الأعمال مفلسًا ، ولا من الاجتهاد فى الطاعة خاليًا ، وتيقن أن العلم المجرد لا يأخذ باليد ، كما لو كان مع رجل عشرة أسياف هندية وهو فى صحراء فخرج عليه أسد عظيم مهيب ، فهل تدفع عنه هذه الأسلحة دون أن يستعملها ؟ !!

كذلك مثل العلم والعمل ، لا فائدة فى الأول بدون الثانى .

يا ولدى ...

لو قرأت العلم مائة سنة ، وجمعت ألف كتاب ، لا تكون مستحقًا لرحمة الله إلا بالعمل .

" وإن ليس للإنسان إلا ما سعى "[١] .

" فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا .. "[٢] .

يا ولدى ..

ما لم تعمل لم تجد الأجر .

وفيما ينسب إلى " على " كرم الله وجهه :

من ظن أنه بدون الجهد يصل فهو متمن ، والمنى بضائع الحمقى .

وقال الحسن البصرى ﷺ :

طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب .

وفى الخبر عن الله تعالى :

" ما أقل حياء ممن يطمع فى جنتى بغير عمل " وقد قال ﷺ :

" الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله المغفرة " .

---

(١) سورة النجم : آية ٣٩ .

(٢) سورة الكهف : آية ١١٠ .

يا ولدى ..

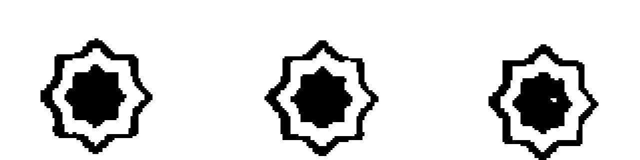
عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، وأعمل ما شئت فإنك مجزى به .. والعلم بلا عمل جنون ..

" أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون "[١] .

والعمل بغير علم لا يكون ..

فلابد منهما معًا ..

وإن العمل وحدة لا يبعدك اليوم عن المعاصى ، ولا ينجيك غدًا من النار . فإذا لم تجتهد اليوم فى العمل ، لتقولن يوم القيامة : أرجعنا نعمل صالحًا : فيقال لك : يا هذا أنت من هناك جئت .. لا من هنا تذهب . !!



(١) سورة البقرة : آية ٤٤ .

الفهرس العام

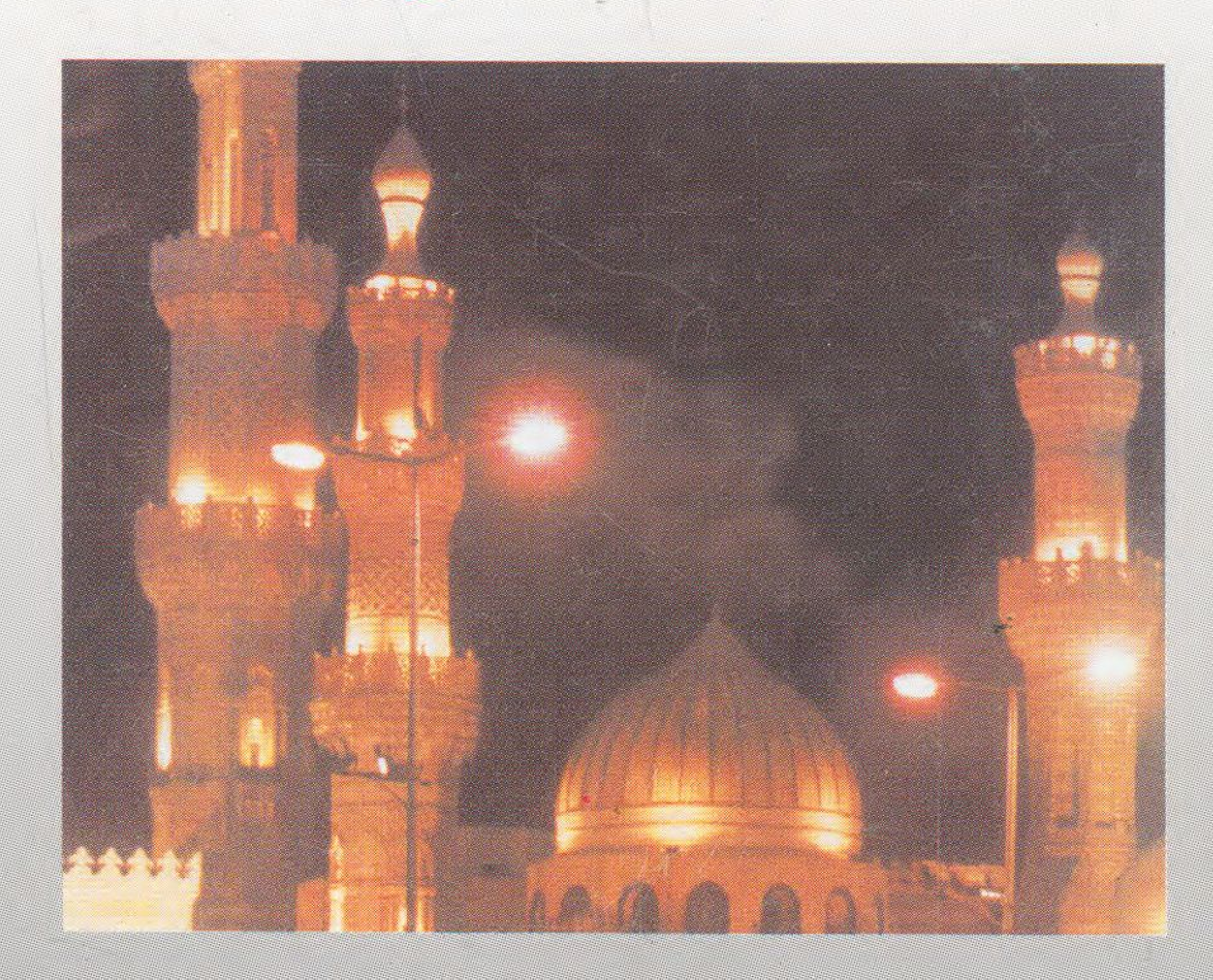
الموضـــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

طبع بمطابع الدار الهندسية
تليفون/فاكس : ٥٤٠٢٥٩٨

كتاب الراية



الدكتور عبد الودود شلبى

الدعوة الاسلامية ومشكلاتها فى بلاد الغرب



74
15



القاهرة - ٣٠ ميدان الحسين
ت : ٥٩٢٦٢١٩

التوزيع
مكتبة فكرى - ٣٠ ميدان الحسين